طرق الدلالة وتطبيقات التدبر

كتبه
خالد بن عثمان السبت
جامعة الدمام

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذه جُملة من الأصول والقواعد والضوابط وطرق الدلالة المُنوعة، وما له نوع اتصال بذلك مما يُتَوَصَّل به إلى استخراج المعاني والهدايات من القرآن الكريم، مقرونة بتطبيقاتها وأمثلتها التي توضحها وتجليها، إلى غير ذلك مما تجده مسطوراً في هذا الكتاب.

وقبل الشروع في المقصود، فإني أضع بين يدي القارئ الكريم بعض الجوانب التي ينبغي اعتبارها، فمن ذلك:

أولا: لم أتعرض لمعنى التدبر وبعض المقدمات المتعلقة به اكتفاء بما ذكرته في الكتاب الآخر الموسوم بـ (تدبر القرآن) الذي يختص بالجوانب النظرية المتصلة بموضوع التدبر.

ثانياً: ينبغي أن نعلم أن التدبر لا يخضع لقواعد محددة، لكن إذا كان المُتَدَبِّر مُتَحَقِّقاً بالعلوم التي يُستَخْرَج بواسطتها أنواع المعاني والحِكَم والأحكام؛ فإن ذلك يكون أدعى إلى نَظَرٍ أَسَدّ، وتَدَبُّرٍ أَدَقّ، وغَوْصٍ أعمق عند قراءة القرآن الكريم.

ثالثاً: تتنوع مطالب المتدبرين من تدبرهم للقرآن الكريم[1]، فمنهم من يقرؤه ليُرَقِّق قلبه، ويقرؤه آخر للوقوف على مواعظه ومواطن العِبَر فيه،

(١) ذكرنا في الكتاب الآخر جملة من هذه المطالب، فيمكن مراجعتها.

ويقرؤه ثالث ليتعرف على مَحَابِّ الله ومَسَاخِطِه، وأوصاف أوليائه، وسِمَات أعدائه، وربما قرأه لمعرفة ربه ومولاه بأسمائه وصفاته ودلائل قدرته وعظمته، أو يقرأ لاستخراج هداياته المتنوعة من الحِكَم والأحكام والآداب وغيرها، فإن ذلك لا يُتَوَصَّل إليه إلا بالتدبر، ولا يصح الفصل بين هذه المطالب وبين التدبر بحال.

ولا يخفى أن هذه المطالبُ متفاوتة فيما يتوقف حصولها عليه، فمنها ما يفتقر إلى آلة يتمكن معها المُتَدَبِّر من استخراج المعاني والهدايات الدقيقة المبنية على أُسُس وقواعد صحيحة في الاستدلال.

ومن هنا جاءت الإشارة إلى هذه الجملة من طُرق الدلالة والقواعد التي تضبط الفهم.

رابعاً: إنما أردت في هذا الكتاب إيراد قدر صالح من طُرق الدلالة وما من شأنه أن يُوصِل إلى المطلوب من المعاني ونحوها؛ ليتعرف به القارئ الكريم على هذه الأصول والقواعد وطُرق الدلالة من جهة، كما يربط بين ذلك وبين الجانب التطبيقي؛ ليكون ذلك أوعى وأبين وأرسخ في الفهم.

ولم يكن المقصود الاستيعاب والاستقراء للأصول النظرية، ولا النماذج التطبيقية؛ فذلك مما يفوت الحصر، ولكن أردت ذِكْر طَرَف منها يحصل به المقصود، ويتضح به المراد، ويدل على غيره، فيتتبعه طالب العلم في مَظَانِّه.

خامسًا: انتقيتُ النماذج التطبيقية مما كنتُ أجمعه عند قراءتي في كتب التفسير وغيرها، إذ كنتُ أُدَوِّن ما أستحسنه من اللطائف واللفتات الدقيقة المُستخرجة بثاقب النظر والفِكْر مما جَادَتْ به قَرَائح العلماء وفُهومهم، كما قرأت الأجزاء الخمسة التي صدرت عن (مركز تدبر للدراسات

والاستشارات) تحت عنوان (ليدبروا آياته)، وانتقيت بعض الأمثلة منها، فأوردتُ في هذا الكتاب من هذا وذاك أحسن ما جمعتُ.

سادسًا: رتبتُ الكتاب على طريقة مُتَسَلْسِلة بالنظر إلى الطُرق التي يُتَوَصَّل بها إلى المُراد من ألوان الدلالات، غير أن بعض النماذج والأمثلة لا تخضع لشيء من تلك الطُرق والأنواع، فألحقتُها في آخر الكتاب وجعلتُها تحت عنوان يُوَضِّح ذلك.

ومما يدخل في هذا النوع ما يُسمَّى بـ (التفسير الإشاري).

وهذا النوع من التفسير إنما يُقال له (تفسير) على سبيل التَّجَوُّز، وإلا فإنه لا يدخل تحت التفسير، كما أن عامة ما يُذكر فيه لا يصح.

وقد أفردتُ له عنواناً في آخر الكتاب وأَوردتُ فيه نماذج صالحة مُسْتَحْسَنة مما ذكره العلماء الثقات، كشيخ الإسلام، وتلميذه ابن القيم، والحافظ ابن كثير، والشيخ عبد الرحمن السعدي، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي، سواء صَرَّحُوا فيه بأنه من قبيل الإشارة، أو لم يُصَرِّحوا بذلك، لكنه داخل تحته.

كما أوردتُ في آخر الكتاب ما يتصل بالتطبيق والعمل والامتثال؛ لكون ذلك يتصل بالتدبر من جهة أن بعض السلف قد فسَّر التدبر بالعمل به كما أوضحنا ذلك في الكتاب الآخر. ولا شك أن من مطالب المتدبرين: العمل والامتثال.

هذا بالإضافة إلى الربط بين التدبر للآيات المتلوة، والتفكر في الآيات المشهودة، وقد صار ذلك مُتاحاً لكل أحد بصورة أعمق في هذا الوقت؛ نظراً لما توفر من الوسائل الحديثة التي يمكن لعموم الناس مشاهدة ذلك من خلالها.

وفي هذا الكتاب أَوْرَدْتُ نماذج من هذا النوع لتدل على غيرها.

سابعاً: تجد في هذا الكتاب تخريج الأحاديث على سبيلٍ مُوجَزة، فما أخرجه الشيخان أو أحدهما اكتفيتُ به، وإن لم يكن فيهما فأكتفي بتخريجه من بقية الكتب التسعة، فإن لم يكن في شيء منها خَرَّجْتُه من غيرها.

كما عَرَّفْتُ بالمصطلحات العلمية التي يحتاج القارئ إلى معرفة المراد بها، وترجمتُ لغير المشاهير من الأعلام ترجمةً مُوجَزَة، وألحقت بـــه فهرســاً للمصادر، وآخر للموضوعات.

وقد أسميتُه بـــ (طُرُق الدلالة وتطبيقات التدبر).

هذا وأسأل الله تعالى أن يتقبله بقبول حسن، وأن يجعله ذخراً لي يوم أن ألقاه إنه سميع مجيب.

وكتبه: خالد بن عثمان السبت

١. تدبر الآيات إجمالاً للتوصل إلى الموضوع أو الموضوعات التي تدور حولها الآيات في السورة.

التطبيق :

– (**سورة العنكبوت**).قال ابن القيم: "فمضمون هذه السورة هو سر الخلق والأمر، فإنها سورة الابتلاء والامتحان وبيان حال أهل البلوى في الدنيا والآخرة، ومن تأمل فاتحتها ووسطها وخاتمها وجد في ضمنها أن أول الأمر ابتلاء وامتحان، ووسطه صبر وتوكل، وآخره هداية ونصر[١]".

– (**سورة الرحمن**).قال ابن القيم: "تأمل قوله تعالى: { ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ } [الرحمن: ١- ٤]،كيف جعل الخلق والتعليم ناشئًا عن صفة الرحمة متعلقًا باسم الرحمن، وجعل معاني السورة مرتبطة بهذا الاسم، وختمها بقوله: {تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ } [الرحمن: ٧٨]، فالاسم الذي تبارك هو الاسم الذي افتَتَح به السورة، إذ مجيء البركة كلِّها منه، وبه وُضِعَت البركة في كل مبارك، فكل ما ذُكِر عليه بُورك فيه، وكل ما خَلِيَ منه نُزِعَت منه البركة[٢]".

– (**سورة الليل**)."عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "إني لأقول هذه السورة نزلت في السماحة والبخل[٣]".

٢. تدبر الآيات إجمالاً للتوصل إلى مقاصد السورة.مثال: سور: الكافرون، الإخلاص، المعوذتان.فمقصود سورة الكافرون: تقرير البراءة من عبادة الكافرين ومن معبوداتهم.

---

(١) شفاء العليل (١/٢٤٧)

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (ص ٣٦٩)

(٣) الدر المنثور (٨/ ٥٣٣). وعزاه لابن مردويه.

أما سورة الإخلاص، فمقصودها: تقرير الوحدانيـــة لله تعالى.وأمـــا المعوذتان، فمقصود سورة الفلق: الاستعاذة من جميع الشرور. وأما النـــاس: فالاستعاذة من شر الوسواس الخناس.

٣ . النظر والتدبر في المناسبات[١] بأنواعها، فمن ذلك:

أ. الربط بين السورة والتي قبلها، والسورة والتي بعـــدها (عنـــد القائل بأن ترتيب السور توقيفي).

التطبيق:

- (سورتا القمر والرحمن).

قال ابن الزبير الغرناطي[٢]: "إذا تأملت سورة القمر وجدت خطابها وإعذارها خاصًّا ببني آدم، بل بمشركي العرب منهم فقط، فأُتْبِعَـــت بســـورة الرحمن؛ تنبيهًا للثقلين وإعذارًا إليهم، وتقريرًا للجنس على ما أودع الله تعالى

---

(١) المناسبات في اللغة: جمع مناسبة، على وزن مفاعلة، وهي ارتباط بين شيئين أو أكثر. قال في معجم المقاييس: "النون والسين والباء، كلمة واحدة، قياسها اتصال شيء بشيء، منه النسب، لاتصاله وللاتصال به". (المقاييس في اللغة (مادة نسب) ٥/ ٤٢٣.والمناسبات في الاصطلاح: علم منه تُعرف علل الترتيب في القرآن الكريم. انظر: البرهان للزركشي (١/ ٣٥)، نظم الدرر (١/ ٥)، الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٣٩)، الكليات (٨٦٦)

(٢) هو: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر: محدث مؤرخ، من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس. انتهت إليه الرياسه بها في العربية ورواية الحـــديث والتفسير والأصول. ولد في جيان، وأقام بمالقة، فحـــدثت لـــه فيهـــا شـــؤون ومنغصات، فغادرها إلى غرناطة فطاب بها عيشه وأكمل ما شـــرع فيـــه مـــن مصنفاته. وتوفي فيها سنة ٧٠٨هـــ. انظر: الوافي بالوفيات (٦/ ١٤٠)، والأعلام للزركلي (١/ ٨٦)

في العالم من العجائب والبراهين الساطعة، فتكرر فيها التقرير والتنبيه بقوله تعالى: { فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }خطابًا للجنسين، وإعذارًا للثقلين، فبان اتصالها بسورة القمر-أشد البيان[1]".

- (**سورتا: الفيل – لإيلاف قريش**).

قال السيوطي: "والمعنى أن الله أهلك أصحاب الفيل لإيلاف قريش[2]".وقيل: "حَبَسْنَا عن مكة الفيل وَأهلكنا أَهلَهُ{ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ }أي: لِائتِلَافِهِم وَاجتِمَاعِهِم في بلدِهِم آمنين"[3].

وقيل: "كأنه قال سبحانه: أَهلَكْتُ أصحابَ الفيل لأجلِ تَأَلُّفِ قُريش. قال الفَرَّاءُ: هذه السورة مُتصلة بالسورة الأُولَى لأنه ذَكَّرَ سبحانه أهلَ مكة بِعظيم نِعْمَته علَيهِم فيما فعَلَ بالحبشة، ثُمَّ قال: لِإِيلاف قُرَيشٍ أي: فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نِعْمَةً مِنَّا على قُريشٍ، وذلك أنَّ قُرَيشًا كانت تَخرُجُ في تِجَارَتِهَا فلا يُغَارُ عليها في الجاهلية، يقولون: هم أهل بيتِ الله عز وجل، حتى جاء صاحب الفيل ليهدم الكعبة ويَأخُذ حِجَارَتَهَا فيبني بها بيتًا في اليمن يَحج النَّاسُ إليه، فأهلكهم الله عز وجل، فَذكَّرَهُم نِعْمَته، أي: فَعل ذلك لإيلاف قُريشٍ، أي: لِيَأْلَفُوا الخروج ولا يُجْتَرَأَ عليهم، وَذَكر نحو هذا ابن قُتيبة. قال الزَّجَّاج: والمعنى: فَجَعَلَهُم كعصف مأكول لإيلاف قريش أي: أهلك الله أصحاب الفيل لِتَبقَى قريش وما قد أَلِفُوا من رحلة الشِّتاء والصَّيف. وقال في

---

(١) البرهان في تناسب سور القرآن (١/٣٢٨)

(٢) معترك الأقران (٣/ ٣٦٧)، وانظر : البرهان في تناسب سور القرآن (ص ٢١٨)، نظم الدرر (٢٢/ ٢٥٩-٢٦٠)

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٩١)

الكشاف: إن اللام متعلق بقوله: لْيَعْبُدُوا أَمَرَهُم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرِّحلَتين"[1].

ب. الربط بين صدر السورة وخاتمتها.

التطبيق :

– **سورة النحل:** "افتُتِحت بالنّهي عن الاستعجال، وخُتِمت بالأمر بالصبر[2]".

قال تعالى: { أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ } [النحل: ١]، وخُتمت بقوله سبحانه: {وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ } [النحل: ١٢٧، ١٢٨].

– **سورة الإسراء:** "افتُتحت بالتسبيح، وخُتمت بالتحميد[3]" .

قال تعالى: {سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ } [الإسراء: ١] ، وخُتمت بقوله سبحانه{وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا } [الإسراء: ١١١] .

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٦٠٩)

(٢) مراصد المطالع (ص ٥٣– ٥٤)

(٣) مراصد المطالع (ص ٥٣– ٥٤)

- **سورة المؤمنون:** "جعل فاتحة السورة{قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ} [المؤمنون:١]، وأورد في خاتمتها{وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ} [المؤمنون: ١١٧]، فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة[١]".

ج. الربط بين الآية والتي قبلها، والآية والتي بعدها.

- قال شيخ الإسلام:"فمن تدبر القرآن، وتدبر ما قبل الآية وما بعدها، وعرف مقصود القرآن تبين له المراد، وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج[٢]".

التطبيق :

- قال تعالى:{ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ } [الفاتحة: ٢-٣].قال القرطبي:"وصف الله تعالى نفسه بعد قوله: " رَبِّ الْعالَمِينَ" بأنه " الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ" لأنه لما كان في اتصافه بـ" رَبِّ الْعالَمِينَ" ترهيب، قرنه بـ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ" لما تضمن من الترغيب؛ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه، فيكون أعون على طاعته وأمنع[٣]".

- قال تعالى: {ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ} [الفاتحة: ٦-٧].قال ابن القيم : " ولما كان طالبُ الصراط المستقيم طالبَ أمر أكثرُ الناس ناكبون

---

(١) الكشاف (٣/٢٠٧)

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/٩٤)

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١/١٣٩)

عنه، مُرِيدًا لسلوك طريقٍ مُرَافِقُه فيها في غاية القلة والعزة، والنفوس مَجبولة على وحشة التفرد، وعلى الأنس بالرفيق، نبه الله سبحانه على الرفيق في هذه الطريق، وأنهم هم الذين: {وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا} [النساء:٦٩]، فأضاف الصراط إلى الرفيق السالكين له، وهم الذين أنعم الله عليهم، لِيَزول عن الطالب للهداية وسلوك الصراط وحشةُ تَفَرُّدِه عن أهل زمانه وبني جنسه، وليعلم أن رفيقه في هذا الصراط هم الذين أنعم الله عليهم، فلا يكترث بمخالفة الناكبين عنه له، فإنهم هم الأقلون قدرًا، وإن كانُوا الأكثرين عددًا..[1] ".وقال في موضع آخر: "أفلا ترى كيف أفاد وصفك لها بأنها طريق السالكين الناجين قدرًا زائدًا على وصفك لها بأنها طريق موصلة وقريبة سهلة مستقيمة؟ فإن النفوس مجبولة على التأسي والمتابعة، فإذا ذكر لها من تتأسى به في سلوكها أنست واقتحمتها، فتأمله[2]".

- قال تعالى: "وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ۝٤٥ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ" [البقرة: ٤٥-٤٦].قال السعدي:"ولهذا قال:{الَّذِينَ يَظُنُّونَ}أي:يستيقنون{أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ}فيجازيهم بأعمالهم{وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}فهذا الذي خفف عليهم العبادات،وأوجب لهم التسلي في المصيبات،ونَفَّسَ عنهم الكربات،وزجرهم عن فعل السيئات،فهؤلاء لهم النعيم المقيم في الغرفات

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٥-٤٦)

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٢٨-٢٩)

العاليات،وأما من لم يؤمن بلقاء ربه، كانت الصلاة وغيرها من العبادات من أشق شيء عليه[1]".

- قال تعالى: "فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ "[البقرة: ١٥٢-١٥٣].

"لما فرغ تعالى من بيان الأمر بالشكر، شرع في بيان الصبر، والإرشاد إلى الاستعانة بالصبر والصلاة، فإن العبد إما أن يكون في نعمة فيشكر عليها، أو في نِقْمَة فيصبر عليها[2]".

- قال تعالى: "أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ " [البقرة: ١٨٧-١٨٨].

---

(١) تفسير السعدي (ص ٥١)

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٤٤٦)

قال ابن رجب: "بعد ذكر تحريم الطعام والشراب على الصائم بالنهار ذكر تحريم أكل أموال الناس بالباطل؛ فإن تحريم هذا عام في كل زمان ومكان، بخلاف الطعام والشراب، فكان إشارة إلى أن من امتثل أمر الله في اجتناب الطعام والشراب في نهار صومه فليمتثل أمره في اجتناب أكل الأموال بالباطل؛ فإنه محرم بكل حال، لا يباح في وقت من الأوقات[1]".

- قال تعالى:"وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ " [آل عمران: ١٠٣-١٠٤].

قال ابن عاشور : "لأنه لما أظهر لهم نعْمة نقلهم مِن حالَتَي شقاء وشَنَاعة إلى حالَتَي نعيمٍ وكمالٍ، وكانوا قد ذاقوا بين الحالتين الأَمَرَّيْن ثم الأَحْلَوَيْن، فَحَلَبُوا الدهر أَشَطْرَيْه، كانوا أَحْرِيَاء بأن يَسْعَوا بكل عزمهم إلى انتشال غيرهم مِن سُوءِ ما هو فيه إلى حُسْنَى ما هم عليه حتّى يكون الناس أُمّةً وَاحدةً خَيِّرَةً[2]".

- قال تعالى:" وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ

(١) لطائف المعارف (١/١٦٥)

(٢) التحرير والتنوير (٤/٣٦)

كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ "[آل عمران: ١٠٤- ١٠٥].قال ابن عثيمين: "النهي عن التفرق بعد ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يدل على أن تركه هو سبب للتفرق[١]".

- قال تعالى: " إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا "[النساء:١٠٥-١٠٦].فالأمر بالاستغفار بعد قوله:" وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا "يدل على أن الحاكم -القاضي- والمفتي ونحوهما بحاجة إلى الاستغفار ليقع الحكم والفتيا على الصواب.قال شيخ الإسلام : "إنَّه ليقف خاطري فِي المسْأَلَة والشَّيْء أو الحَالة الَّتِي تُشْكِل علي فأستغفر الله تَعَالَى ألف مرّة أو أكثر أو أقل حتى ينشرح الصَّدْر وينحل إِشْكَال مَا أشكل". قَالَ: "وأكون إذ ذَاك فِي السُّوق أَو الْمَسْجِد أَو الدَّرْب أَو الْمدرسَة، لَا يَمْنعنِي ذَلِك من الذّكر وَالِاسْتِغْفَار إِلَى أَن أنال مطلوبي[٢]".

- قال تعالى في سورة الأعراف، بعد ذكر قصة آدم وما لقيه من وسوسة الشيطان:" يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ

(١) شرح رياض الصالحين (٢/٤٠٩)

(٢) العقود الدرية (ص ٢٢)

عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ"[الأعراف:٢٦-٢٧].

قال ابن عاشور: "وكان لاختيار استحضارهم عند الخطاب بعنوان بني آدم مرتين وَقْعٌ عجيب، بعد الفراغ من ذكر قصة خلق آدم وما لقيه من وسوسة الشيطان: وذلك أن شأن الذرية أن تَثْأر لآبائها، وتُعَادي عدوهم، وتحترس من الوقوع في شَرَكِه.[1]".

- قال تعالى:إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ "[الأعراف: ١٥٢-١٥٣].

قال البقاعي[2]: "ولما ذكر المُصِرِّين على المعصية، عطف عليه التائبين ترغيبًا في مثل حالهم فقال: "وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ"[3]".

- قال تعالى:"وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ

---

(١) التحرير والتنوير (٨/٧٣)

(٢) هو: إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب. أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق سنة ٨٨٥هـ. انظر: الضوء اللامع (١/ ١٠١)، والأعلام للزركلي (١/ ٥٦)

(٣) نظم الدرر (٨/٩٢)

ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ" [الأنبياء: ٣٦-٣٧].

قال ابن كثير:"الحكمة من ذكر عجلة الإنسان هَا هنا أنه لما ذكر المستهزئين بالرسول صلوات الله وسلامه عليه،وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم واستُعْجِلَت،فقال تعالى:"خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ"؛لأنه تعالى يُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته،يُؤجِّل ثم يُعجِّل، ويُنْظِر ثم لا يُؤَخِّر؛ ولهذا قال: "سَأُرِيكُمْ آياتِي"أي: نقمتي واقتداري على من عصاني" فَلا تَسْتَعْجِلُونِ" [1]".

- قال تعالى: "وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَـٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا"[الفرقان:٢٥-٢٦].

قال الزركشي : "أذهلني يومًا قوله تعالى: "وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَـٰنِ "، فقلت: يا لطيف!! عَلِمْتَ أن قلوب أوليائك الذين يعقلون هذه الأوصاف عنك وتتراءى لهم تلك الأهوال لا تتمالك فَلَطَفْت بهم فَنَسَبْت {الْمُلْكَ}إلى أَعَمِّ اسم في الرحمة فقُلْت جكجـ لِيُلَاقِي هذا الاسم تلك القلوب التي يَحِلُّ بها الهَوْلُ فَيُمَازِج تلك الأهوال، ولو كان بَدَلُه اسمًا آخر من عزيز وجبار لَتَفَطَّرت القلوب[2]".

- قال تعالى: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا

(١) تفسير ابن كثير (٣٤٣/٥).

(٢) البرهان للزركشي (٤٧٠/١)

طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ [الأحزاب: ٥٣]، وقال: إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا " [الأحزاب: ٥٧-٦٢].لما ذكر الله تعالى آيات الحجاب في سورة الأحزاب، أعقبها بتوعد المنافقين وأضرابهم الذين يؤذون الله ورسوله وأهل الإيمان، وهم حرب على الفضيلة وأهلها.

- قال تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ" [ق: ٣٨-٣٩].

قال ابن القيم: "وتأمل قوله تعالى: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ}، فإن أعداء الرسول ﷺ نسبوه إلى ما لا يليق به، وقالوا فيه ما هو مُنَزَّه عنه، فأمره

الله سبحانه وتعالى أن يصبر على قولهم، ويكون له أسوة بربه سبحانه وتعالى، حيث قال أعداؤه فيه ما لا يليق[1]".

- قال تعالى: "وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ۝٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا "[الإنسان: ٢٦-٢٧].

قال ابن القيم: "إن طال وقوفه في الصلاة ليلاً ونهارًا لله، وتحمل لأجله المشاقَّ في مرضاته وطاعته، خَفَّ عليه الوقوفُ في ذلك اليوم وسَهُلَ عليه، وإن آثر الراحة هنا والدَّعَة البَطَالَة والنعمة طال عليه الوقوف هناك واشتدت مشقته عليه[2]".

- قال تعالى: "وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ "[الشرح:٢-٤].

من القواعد العامة: (**التخلية قبل التحلية**)، وقد وردت في القرآن كثيرًا في مثل قوله تعالى: "وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ"، وهذا مقام التخلية، فلما خلاه بوضع الوزر عنه، حلَّاه برفع الذِّكْر: وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ"، واعتبر هذا في القرآن في كلمة التوحيد وغيرها تجده كثيرَ الوقوع في القرآن[3].

- قال تعالى:" أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ"[الماعون: ١-٢].

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/٣٤٠)

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/٨٤-٨٥)

(٣) ليدبروا آياته (٢/٢٧٩)

قال ابن عاشور : "هذا إيذانٌ بأنَّ الإيمانَ بالبعث والجزاء هو الوازع الحق الذي يغرس في النفس جذور الإقبال على الأعمال الصالحة، حتى يصير ذلك لها خُلُقًا إذا شَبَّت عليه، فزكت وانساقت إلى الخير بدون كلفة ولا احتياج إلى أمر، ولا إلى مخافة ممن يقيم عليه العقوبات، حتى إذا اختلى بنفسه، وآمن الرُّقَباء، جاء بالفحشاء والأعمال النكراء![1]".

د. الربط بين الجملة والجملة.

التطبيق:

- قال تعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" [الفاتحة:٥-٦].قال ابن القيم: "إن القلب يَعْرِض له مرضان عظيمان، إن لم يَتَدَارَكهما العبد تَرَامَيَا به إلى التلف ولابد، وهما: الرياء، والكِبْر، فدواء الرياء بـ إِيَّاكَ نَعْبُدُ"، ودواء الكِبْر بـ"إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"، وكثيرًا ما كنت أَسْمَع شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ"، تدفع الرياء،"وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ "تدفع الكبرياء.فإذا عُوفِيَ من مرض الرياء بـ إِيَّاكَ نَعْبُدُ"، ومن مرض الكبرياء والعُجْب بـ"إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"، ومن مرض الضلال والجهل بـ"اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ"، عُوفِيَ من أمراضه وأسقامه، وَرَفَلَ في أثواب العافية، وتمت عليه النعمة، وكان مِنَ الْمُنْعَمِ عليهم غير المغضوب عليهم وهم أهل فساد القصد، الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه، والضالين وهم أهل فساد العلم، الذين جهلوا الحق و لم يعرفوه. وَحُقَّ لسورة تشتمل على هذين الشِّفَاءَيْن أن يُسْتَشْفَى بها من كل مرض[2]".

---

(١) التحرير والتنوير (٥٦٥/٣٠)

(٢) مدارج السالكين (٧٨/١)

- قال تعالى: "ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ" [البقرة: ١٩٧].

"الخادم متى علم أن مخدومه مُطَّلِع عليه؛ كان أحرص على العمل وأكثر التذاذًا به، وأقل نُفرة عنه، وكان اجتهاده في أداء الطاعات وفي الاحتراز عن المحظورات أشد؛ فلهذه الوجوه أتبع الله تعالى الأمر بالحج والنهي عن الرفث والفسوق والجدال بقوله: "وَما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ" [1]".

- قال تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ" [الأنفال:٢٤].

قال ابن القيم: "تأمل كيف أخبر عن حيلولته بين المرء وقلبه بعد أمره بالاستجابة له ولرسوله، كيف تجد في ضمن هذا الأمر والخبر أن من ترك الاستجابة له ولرسوله حال بينه وبين قلبه، عقوبة له على ترك الاستجابة، فإنه سبحانه يعاقب القلوب بإزاغتها عن هداها ثانيًا، كما زاغت هي عنه أولاً. قال تعالى:فَلَمَّا زَاغُوٓا أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ"[الصف:٥] [2] ".

- قال تعالى: "غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ" [غافر:٣].

---

(١) مفاتيح الغيب (١٨٥/٣)

(٢) الكلام على مسألة السماع (ص ١٠١)

قال ابن القيم: "تأمل كيف وقع الوصف بشديد العقاب بين صفة رحمة قبله وصفة رحمة بعده، فقبله: {غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ} وبعده: {ذِي الطَّوْلِ} ففي هذا تصديق الحديث الصحيح وشاهد له، وهو قوله ﷺ: «لما قضى اللهُ الخلقَ، كتب كتابًا عنده: غلبَتْ- أو قال: سبَقَتْ- **رحمتي غضَبي، فهو عنده فوقَ العَرْشِ**»[1] ... وقد سبقتْ صفة الرحمة هنا وغلبت[2]".

- قال تعالى:" وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ"[النجم:١- ٢]. قال شيخ الإسلام : "فوصفه بأنه ليس بضال وهو الجاهل، ولا غاوٍ وهو الظالم، فإن صلاحَ العبد في أن يعلمَ الحقَّ ويَعمَلَ به، فمن لم يَعلمِ الحقَّ فهو ضالٌّ عنه، ومَن عَلِمَه فخالفَه واتبَعَ هَواه فهو غاوٍ، ومَن علمه وعَمِل به كان من أولي الأيدي عملاً، ومن أولي الأبصار علمًا[3]".

- قال تعالى: "يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا "[الإنسان:٧- ٨].

"اعلم أن مجامع الطاعات محصورة في أمرين: التعظيم لأمر الله تعالى، وإليه الإشارة بقوله: "يُوفُونَ بِالنَّذْرِ"والشفقة على خلق الله، وإليه الإشارة بقوله: "وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ" [4]".

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٥٣)

(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٩٣)

(٣) جامع المسائل لابن تيمية (٣ /٨٥)

(٤) مفاتيح الغيب (٣٠ /٧٤٦)

- قال تعالى: "عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا" [الإنسان:٢١].قال ابن كثير: "ولما ذَكَرَ تعالى زِينَة الظَّاهِر بالحَرِير والحُلِيّ قال بعده: {وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا} ، أي: طَهَّرَ بَوَاطِنَهُمْ من الحسد والحقد والغِلّ والأذى وسائر الأخلاق الرّديَّة[١]".

هـ. الربط بين موضوع الآية وخاتمتها.

- قالّ البقاعي: "ومن تدبر الابتداء عرف الختم، ومن تأمل الختم لاح له الابتداء[٢]".

التطبيق:

- قال تعالى:"وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ "[البقرة:٢٠٣].قال ابن كثير: "فإنه لما ذكر الله تعالى النَّفْر الأول والثاني، وهو تفرق الناس من موسم الحج إلى سائر الأقاليم والآفاق، بعد اجتماعهم في المشاعر والمواقف، قال {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}،أي:تجتمعون يوم القيامة[٣]".وقال السعدي:"{وَاتَّقُوا اللَّهَ}بامتثال أوامره واجتناب معاصيه، فمجازيكم بأعمالكم، فمن اتقاه، وجد جزاء التقوى عنده، ومن لم يتقه، عاقبه أشد العقوبة، فالعلم بالجزاء من أعظم الدواعي لتقوى الله، فلهذا حث تعالى على العلم بذلك[٤]".

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/٢٩٣)

(٢) نظم الدرر (٣/١٣٦)

(٣) تفسير ابن كثير (١/٥٦٢)

(٤) تفسير السعدي (ص ٩٣)

- قال تعالى: "فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" [البقرة: ٢٠٩].

قال في الكشاف: " ورُوي أنّ قارئًا قرأ (غفور رحيم)، فسمعه أعرابي فأنكره -ولم يقرأ القرآن-وقال: إن كان هذا كلام اللّه فلا يقول كذا الحكيم!! لا يذكر الغفران عند الزلل، لأنه إغراء عليه. [1]".

- قال تعالى: "ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا [النساء: ٣٤].

لما ذكر الله قوامة الرجل على المرأة، وحق الزوج في تأديب امرأته الناشز، ختم الآية بقوله:"إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا"فذكّر بعلوه وكبريائه ترهيبًا للرجال؛ لئلا يعتدوا على النساء، ويتعدوا حدود الله التي أمر بها[2].

قال القاسمي: " فاحذروه، تهديد للأزواج على ظلم النسوان من غير سبب، فإنهن وإن ضعفن عن دفع ظلمكم، وعجزن عن الانتصاف منكم؛ فالله علي كبير، قادر، ينتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن، فلا تغتروا بكونكم

(١) الكشاف (١/ ٢٥٣)، وانظر: الإتقان في علوم القرآن (٣٤٧/٣)

(٢) ليدبروا آياته (٧٤/١)

أعلى يدًا منهن، وأكبر درجة منهن، فإن الله أعلى منكم، وأقدر منكم عليهن، فخَتْمُ الآية بهذين الاسمين فيه تمام المناسبة[1]".

- قال تعالى:"إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ "[المائدة: ١١٨].قال ابن القيم : "ولم يقل: (الغفور الرحيم) وهذا من أبلغ الأدب مع الله تعالى. فإنه قاله في وقت غضب الرب عليهم، والأمر بهم إلى النار. فليس هو مقام استعطاف ولا شفاعة، بل مقام براءة منهم[2]".كذلك فإنه حينما يعذبهم أو يغفر لهم فإن ذلك صادر عن عزة وحكمة، وليس عن ضعف وعجز عن المؤاخذة حال المغفرة، أو وَضْع للأمر في غير موضعه.

- قال تعالى: "وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ "[الأعراف: ٥٦].

قال شيخ الإسلام : "لما كان قوله تعالى: "وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً" مشتملاً على جميع مقامات الإيمان والإحسان، وهي: الحُبُّ والخوف والرجاء، عَقَّبها بقوله: "إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ" أي: إنما تَنَالُ من دعاه خوفًا وطمعًا، فهو المحسن، والرحمة قريب منه؛ لأن مدار الإحسان على هذه الأصول الثلاثة[3]".

- قال تعالى في سياق خطاب شعيب عليه السلام لقومه: " أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ

---

(١) محاسن التأويل (٣/١٠٠)

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٥٨- ٣٥٩)

(٣) مجموع الفتاوى (١٥/٢٦)

إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ [هود: ٨٨].قال السعدي : "أي: ليس لي من المقاصد إلا أن تصلح أحوالكم، وتستقيم منافعكم، وليس لي من المقاصد الخاصة لي وحدي شيء بحسب استطاعتي، ولما كان هذا فيه نوع تزكية للنفس دفع هذا بقوله: {وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ} [1]".

- قال تعالى: "قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ" [يوسف:٩٠].

قال شيخ الإسلام : "من احتمل الهوان والأذى في طاعة الله على الكرامة والعز في معصية الله -كما فعل يوسف عليه السلام وغيره من الأنبياء والصالحين- كانت العاقبة له في الدنيا والآخرة، وكان ما حصل له من الأذى قد انقلب نعيمًا وسرورًا [2]".

- قال تعالى: "وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ" [النور:١٠].قال السيوطي : "فإن بَادِئَ الرأي يَقْتَضِي "تَوَّابٌ رَحِيمٌ"؛ لأن الرحمة مناسبة للتوبة، لكن عَبَّرَ به إشارة إلى فائدة مشروعية اللِّعَانِ وحكمته وهي السِّتْرُ عن هذه الفاحشة العظيمة[3]".

---

(١) تفسير السعدي (ص ٣٨٧)

(٢) مجموع الفتاوى (١٣٢/١٥)

(٣) الإتقان في علوم القرآن (٣٥٢/٣)

- قال تعالى:"قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[النور: ٣٠-٣١].قال شيخ الإسلام: "في قوله تعالى -في خواتيم آية غض البصر-: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، فوائد جليلة، منها: أن أمره لجميع المؤمنين بالتوبة في هذا السياق؛ تنبيه على أنه لا يخلو مؤمن من بعض هذه الذنوب التي هي: ترك غض البصر، وحفظ الفرج، وترك إبداء الزينة، وما يتبع ذلك، فَمُسْتَقِل ومُسْتَكْثِر[1]".

- قال تعالى:"قُل أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ

(١) مجموع الفتاوى (١٥/٤٠٣)

تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ"[القصص: ٧١-٧٢].قال ابن هبيرة [١]: "إنما ذكر السماع عند ذكر الليل، والإبصار عند ذكر النهار؛ لأن الإنسان يدرك سمعه في الليل أكثر من إدراكه بالنهار، ويرى بالنهار أكثر مما يرى بالليل قال المبرد[٢]: سلطان السمع في الليل، وسلطان البصر في النهار[٣]".

ـــ قال تعالى "أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ۝٢٦ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ"[السجدة:٢٦-٢٧]."تلحظ هنا توافق النسق القرآني بين صدر الآيات وعَجُزها، ففي الآية السابقة قال سبحانه{أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ... }أي : يدلُّ ويرشد، والكلام فيها عن قصص تاريخي، فناسبها **{أَفَلاَ يَسْمَعُونَ}**. أما هنا فالكلام عن مشاهد مرئية، فناسبها {أَفَلاَ يُبْصِرُونَ} فهذا ينبغي أنْ يُسمع ، وهذا ينبغي أنْ يُرى[٤]".

---

(١) هو: يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ،أبو المظفر،عون الدين:من كبار الوزراء في الدولة العباسية. عالم بالفقه والأدب. له نظم جيد. ولد في قرية من أعمال دُجيل(بالعراق) ودخل بغداد في صباه، فتعلم صناعة الإنشاء،وقرأ التاريخ والأدب وعلوم الدين. توفي سنة:٥٦٠هـ.انظر: وفيات الأعيان(٦/ ٢٣٠)،والأعلام للزركلي (٨/ ١٧٥)

(٢)هو: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد: إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار. مولده بالبصرة ووفاته ببغداد. توفي سنة:٢٨٦هـ. انظر:تاريخ العلماء النحويين (ص٦٢)،والأعلام للزركلي (٧/ ١٤٤)

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ١٤٨). وانظر: مفتاح دار السعادة (١/ ٢٠٨)، تفسير السعدي (ص ٦٢٣)

(٤) تفسير الشعراوي (١٩/ ١١٨٦٦- ١١٨٦٧). وانظر: فتح البيان (١١/ ٣٥)

- قال تعالى وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ [الشورى:٢٨].قال ابن عاشور: "وَذِكْرُ صِفَتَي الـــوَلِيُّ الْحَمِيدُ دون غيرهما؛ لمناسبتهما للإغاثة؛ لأن الولي يُحسِن إلى مواليه، والحَمِيد يعطي ما يُحْمَدُ عليه[1]".

- قال تعـــالى: قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ [الصافات: ٩٧ – ٩٨].وقيل: رُوعي هنا مقابلة قولهم: (ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا) ؛ لأنه يُفهم منه إرادتهم علو أمرهم بفعلهم ذلـــك، فَقُوبلوا بالضد، فَجُعِلوا الأسفلين[2]".

و. الربط بين المقاطع في السورة.

التطبيق:

- قال تعالى: "تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ " [لقمان: ٢-٦].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٥/٩٦)

(٢) ملاك التأويل (٢/٣٥٠) (بتصرف يسير). وانظر: درة التنزيل (١/٩٠٥-٩٠٦)، كشف المعاني لابن جماعة (ص٢٥٦)

قال ابن كثير: "لما ذكر تعالى حال السعداء، وهم الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بسماعه، كما قال الله تعالى {اللَّهُ نزلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمر:٢٣]، عطف بذكر حال الأشقياء، الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله، وأقبلوا على استماع المزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب، كما قال ابن مسعود في قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ} قال: هو -والله-الغناء [(١)]".

- قال تعالى:" ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ "[النور: ٣٥].قال ابن تيمية:"ذَكَرَ سبحانه آية النور عقيب آيات غضِّ البصر فقال: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} وكان شاه بن شُجَاع الكرماني لا تُخطئ له فِراسة، وكان يقول: مَن عَمَّر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المُراقبة؛ وغضَّ بصره عن المَحارم؛ وكفَّ نفسه عن الشَّهوات؛ وَذَكَرَ خَصْلَةً خامسة وهي أَكْلُ الحلال: لم تُخْطِئ له فِرَاسَة.واللَّه تعالى يَجْزي العبد على عمله، بما هو من جنس عمله، فغضُّ بصره عمَّا حَرُم يُعَوِّضه اللَّه عليه من جنسه بما هو خيرٌ منه؛ فَيُطْلِقُ نور بصيرته، ويَفتَحُ عليه

(١) تفسير ابن كثير (٦/٣٣٠)

باب العلم والمعرفة وَالكشوف ونحو ذلك مِمَّا ينالُ ببصيرة القلب[1]".وقال الشنقيطي:"لما أمر الله تعالى ببعض الأمور التي لا غنى للناس عنها، ونهى عن بعض الأمور التي بارتكابها يحصل الضرر على المجتمع والأفراد، وحث على بعض الآداب السماوية، بين سبحانه أن امتثال تلك الأوامر، واجتناب تلك النواهي، والتزام تلك الآداب ينور لها قلوب عباده فيوفقهم لها، ويطمس قلوب آخرين، فلا يمتثلون أوامره، ويرتكبون نواهيه، فضرب للموفق هذا المثل، وضرب للضالين المثل الآتي في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور: ٤٠][2]".

- **قال تعالى:**"أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ

(١) مجموع الفتاوى (٢١/ ٢٥٧- ٢٥٨)

(٢)تفسير سورة النور للشنقيطي (ص ١٣٥)

كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا " [النساء: ٥١ - ٥٧].ثم قال بعدها:" إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرًا [النساء: ٥٨].

قال السيوطي:"تَقدَّم أن صورة السَّبب قَطْعِيَّةُ الدُّخول في العامِّ، وقد تنزل الآيات على الأسباب الخاصَّة وتُوضَع مع ما يُناسبها من الآي العَامَّة رعايةً لنظم القرآن وحُسْن السِّياق، فيكون ذلك الخاصُّ قريبًا من صورة السَّبب في كونه قَطْعِيَّ الدُّخول في العَامِّ، كما اختار السُّبكِي أنه رُتبة متوسِّطة دون السَّبب وفَوْقَ المُجرَّد.

مثالُه قوله تعالى: :"أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ إلى آخرِهِ، فإنها إشارة إلى كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود لَمَّا قَدِموا مكة وشَاهدوا قتلى بدرٍ حَرَّضوا المُشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربة النَّبي ﷺ فَسَألوهم: من أهدى سبيلًا؟ محمد وأصحابه أم نحن؟ فقالوا: أنتم!! مع علمهم بما في كتابهم من نعت النَّبي ﷺ المُنطَبِق عليه، وأَخْذِ المَوَاثِيق عليهم ألا يَكتُموه. فكان ذلك أمانةً لازمةً لهم و لم يُؤدُّوها حَيث قالوا لِلكفَّار: أنتُم أهدَى سَبِيلًا، حَسدًا لِلنَّبي ﷺ. فقد تَضَمَّنت هذه الآية مع هذا القول التَّوعُّدَ عليه المُفيد للأمر بمقابله المُشتَمِل على أداء الأمانة التي هي بيان صفة النَّبي ﷺ بإفادة أنَّه الموصوف في كتابهم، وذلك مناسب لقوله: :" إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا " فهذا عام في كلِّ أمانة، وذلك

خاص بأمانة هي صفة النبي ﷺ بالطريق السابق، والعامُّ تالٍ للخاص في الرَّسم مُتراخ عنه في النزول، والمُناسبة تَقتضِي دُخُول ما دَلَّ عليه الخَاصُّ في العَامِّ. ولذا قال ابن العربي في تفسيره: وَجْهُ النَّظْمِ: أنه أخبر عن كِتمَانِ أهل الكتاب صفة محمد، وَقَولُهُم: إنَّ المشركين أَهدى سبيلًا، فكان ذلك خيانةً منهم، فانجر الكَلامُ إلى ذِكْرِ جميع الأمانات[1]".

- قال تعالى: " **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا*** ....." [النساء: ٥١ - ٥٧].

فهذه الآيات نزلت -فيما رُوي[2] -بسبب سؤال المشركين لليهود: أنحن أهدى أم محمد؟ فأجابهم اليهود: أنتم أهدى من محمد !! وسجدوا لأصنامهم. فكان ذلك منهم كتمانًا للشهادة بالحق، وتضيعًا للأمانة التي حُمِّلُوها. ثم قال بعد هذه الآيات: **إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا** "فهذه الآية نزلت -فيما رُوي- بسبب مفاتيح الكعبة. قال الواحدي[3]: "نزلت في ابن طلحة، قبض النبي ﷺ مفتاح الكعبة، فدخل الكعبة يوم الفتح، فخرج وهو يتلو هذه الآية، فدعا عثمان فدفع إليه المفتاح وقال: خذوها يا بني أبي طلحة بأمانة الله لا يترعها منكم إلا ظالم[4]".

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١١٣- ١١٤)

(٢)انظر: السنن الكبرى للنسائي (١١٦٤٣)

(٣) هو: علي بن أحمد بن محمد بن علي بن مَتُّوَيْه، أبو الحسن الواحدي: مفسر، عالم بالأدب، نعته الذهبي: بإمام علماء التأويل. كان من أولاد التجار، أصله من ساوة -بين الريّ وهمذان -ومولده ووفاته بنيسابور. توفي سنة: ٤٦٨هـ. انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٣٠٤)، والأعلام للزركلي (٤/ ٢٥٥)

(٤)أخبار مكة للأزرقي(١/ ١٠٩)،(١/ ٢٦٥)،أسباب النزول للواحدي(١/ ١٥٨)، المقاصد الحسنة (٤٣١)، جامع الأحاديث (٣٠٤٠٥)، الدر المنثور (٢/ ٥٧٠)

فهذا هو سبب النزول-على فرض صحة الحديث-ويدخل في عموم الأمانات ما سبق من الشهادة بالحق، الأمر الذي ضيعه اليهود حينما سألهم المشركون.

ويلحق بذلك (دلالة الاقتران).

دلالة الاقتران:[1]

التطبيق:

- قال تعالى: "ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ "[البقرة: ٣].

- وقال تعالى: "وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ" [البقرة: ٤٣]. في وجه الاقتران بين الصلاة والزكاة[2]:

١- أن الصلاة صِلَة بين العبد وربه، وأما الزكاة فَصِلَة وإحسان إلى المخلوقين، وسعادة العبد دائرة بين حُسْن صِلَتِه بربه، وإحسانه إلى الخلق.

٢- أن العبادات: إما مالية، وإما بدنية، ورأس العبادات المالية: الزكاة، كما أن رأس العبادات البدنية: الصلاة.

٣- أن الزكاة طُهْرة للمال، والصلاة طُهْرة للبدن.

٤- أن الصلاة شُكْر لنعمة البدن، والزكاة شُكْر لنعمة المال.

---

(١) وقد عرفها العلماء بتعريفات مختلفة بناءً على صورة ذهنية لكل منهم، والواقع أنها أنواع؛ لذا فإن الأليق بموضوعنا أن نقتصر على أعم تلك التعريفات، وهو الذي ذهب إليه أبو يعلى الفراء في كتابه العدة في أصول الفقه (٤/ ١٤٢٠) حيث قال: أن يذكر الله تعالى أشياء في لفظ واحد ويعطف بعضها على بعض.

(٢) مفاتيح الغيب٢/٢٦٩، ٣/٤٨٥، تفسير أبي حيان(٦٩/، تفسير السعدي (ص ٤٠)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولهذا يقرن الله بين الصلاة والزكاة تارة؛ وهي الإحسان إلى الخلق وبينهما وبين الصبر تارة. ولا بد من الثلاثة: الصلاة، والزكاة، والصبر. لا تقوم مصلحة المؤمنين إلا بذلك؛ في صلاح نفوسهم وإصلاح غيرهم؛ لا سيما كلما قويت الفتنة والمحنة؛ فالحاجة إلى ذلك تكون أشد"[1].وقال ابن كثير: " الصلاة حق الله وعبادته، وهي مشتملة على توحيده والثناء عليه، وتمجيده والابتهال إليه، ودعائه والتوكل عليه، والإنفاق هو الإحسان إلى المخلوقين بالنفع المتعدي إليهم"[2].قال السعدي : "إن الله تعالى يقرن بين الصلاة والزكاة، لكونهما أفضل العبادات، وأكمل القربات، عبادات قلبية، وبدنية، ومالية، وبهما يوزن الإيمان، ويعرف ما مع صاحبه من الإيقان[3]".

- قال تعالى:" وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ "[البقرة:١٩٧].قال ابن القيم : "أَمَر الحاج بأن يتزودوا لسفرهم، ولا يسافروا بغير زاد، ثم نبههم على زاد سفر الآخرة، وهو التقوى. فكما أنه لا يصل المسافر إلى مقصده إلا بزاد يُبلِّغه إياه، فكذلك المسافر إلى الله تعالى والدار الآخرة لا يصل إلا بزاد من التقوى، فجمع بين الزادين، ومنه قوله تعالى:" يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ " [الأعراف : ٢٦]، فجمع بين الزينتين: زينة البدن

(١)مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٥٤)

(٢) تفسير ابن كثير(١/ ١٦٨-١٦٩)

(٣) تفسير السعدي (ص ٨٣)

باللباس، وزينة القلب بالتقوى، زينة الظاهر والباطن، وكمال الظاهر والباطن[1]".

- قال تعالى: "إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ "[آل عمران:٢١].قال ابن رجب:"ولهذا المعنى كان أشد الناس عذابًا من قتل نبيًّا؛لأنه سعى في الأرض بالفساد،ومن قتل عالمًا فقد قتل خليفة نبي،فهو ساع في الأرض بالفساد أيضًا؛ ولهذا قرن الله بين قتل الأنبياء وقتل العلماء الآمرين بالمعروف[2]".

- قال تعالى:" وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ "[المائدة:٢].قال الماوَرْدي:"نَدَبَ الله تعالى إلى التعاون به وقَرَنَهُ بالتقوى له؛ لأن في التقوى رضا الله تعالى، وفي البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورِضَا الناس فقد تَمَّتْ سعادته وعَمَّت نعمته[3]".

- قال تعالى:قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ "[المائدة:١١٤].قال ابن القيم : "فذكر الأمرين-أي جمع بين (اللهم) و(ربنا)- و لم يجئ في القرآن سواه، ولا رأيت أحدًا تعرض لهذا ولا نبه عليه. وتحته سر عجيب دالٌّ على كمال معرفة المسيح بربه وتعظيمه له، فإن هذا السؤال كان

(١) إغاثة اللهفان (٥٨/١)

(٢) شرح حديث أبي الدرداء (ضمن مجموع رسائل ابن رجب) (٣٢/١)

(٣) أدب الدنيا والدين (١٨٣/١)

عقيب سؤال قومه له: {هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ} [المائدة: ١١٢]،فخوَّفهم بالله وأعلمهم أن هذا مما لا يليق أن يُسأل عنه، وأن الإيمان يَرُدُّه فلما ألَحُّوا عليه في الطلب وخاف المسيح أن يُداخلهم الشك إن لم يُجابوا إلى ما سألوا؛ بدأ في السؤال باسم چ ٻ چ الدال على الثناء على الله بجميع أسمائه وصفاته، ففي ضمن ذلك تَصَوّره بصورة المُثني الحامد الذاكر لأسماء ربه المثني عليه بها. وأن المقصود منه بهذا الدعاء وقضاء هذه الحاجة: إنما هو أن يُثني على الرب بذلك، ويُمجده به، ويذكر آلاءه، ويُظهر شواهد قدرته وربوبيته، ويكون برهانًا على صدق رسوله فيحصل بذلك من زيادة الإيمان والثناء على الله أمر يحسن معه الطلب ويكون كالعذر فيه، فأتى بالاسمين: اسم الله الذي يُثْنَى عليه به، واسم الرب الذي يُدعَى ويُسأَل به، لما كان المقام مقام الأمرين.فتأمل هذا السر العجيب ولا يَنْبُ عنه فهمك، فإنه من الفهم الذي يؤتيه الله من يشاء في كتابه وله الحمد[1]".

- قال تعالى: "وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ "[الأنعام: ١١٠].قال شيخ الإسلام : "العينان هما ربيئة القلب، وليس من الأعضاء أشد ارتباطًا بالقلب من العينين؛ ولهذا جمع الله بينهما في قوله:" رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ" [النور: ٣٧]،"وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ" [الأحزاب: ١٠]، "قُلُوبٌ

(١) بدائع الفوائد (٢/ ١٩٤)

يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ" [النازعات: ٨ – ٩]؛ ولأن كليهما لـه النظر؛ فنظر القلب الظاهر بالعينين، والباطن به وحده[١]".

- قال تعالى: "ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ " [طه: ٥].قال ابـن القيم : "يَقْرِنُ اسْتِوَاءَهُ على العرش بهذا الاسم كثيرًا، كقوله تعـالى:" ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ "[الفرقان: ٥٩]، فاستوى على عرشه باسم الـرحمن؛ لأن العـرش محـيط بالمخلوقات قد وسعها، والرحمة محيطة بالخلق واسـعة لهـم، كمـا قـال تعالى:"وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ "[الأعراف: ١٥٦]، فاستوى على أوسـع المخلوقات بأوسع الصفات؛ فلذلك وَسِعَتْ رحمتُهُ كل شيء[٢]".

- قال تعـالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ "[المؤمنون:٥١].

تأمل كيف قرن الله بين أكل الطيبات وعمل الصـالحات، فَأَكْـل الحلال الطيب مما يُعين العبد على فعل الصالحات، كما أن أَكْـل الحـرام أو الوقوع في المشتبهات، مما يُثقِل العبد عن فعل الصالحات[٣]".

- قال تعـالى:يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا " [الإنسان:٧- ٨].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٢٢٥)

(٢) مدارج السالكين (١/٥٧)

(٣) ليدبروا آياته (١/١٦٢)

"مجامع الطاعات محصورة في أمرين: التعظيم لأمر الله تعالى، وإليه الإشارة بقوله: "يُوفُونَ بِالنَّذْرِ"، والشفقة على خلق الله، وإليه الإشارة بقوله: "وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ"[1]".

- قال تعالى: "فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ "[الليل: ٥]، وقال: "إِن ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ "[النحل: ١٢٨].

قال شيخ الإسلام: "هذان الأصلان هما جِمَاع الدين العام كما يُقال، التعظيم لأمر الله، والرحمة لعباد الله، فالتعظيم لأمر الله يكون بالخشوع والتواضع وذلك أصل التقوى، والرحمة لعباد الله بالإحسان إليهم[2]".

- قال تعالى: "فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ "[الكوثر: ٢].قال شيخ الإسلام: "أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين، وهما الصلاة والنسك الدالتان على القرب والتواضع والافتقار وحُسْن الظن، وقوة اليقين، وطمأنينة القلب إلى الله، وإلى عِدَتِه وأمره، وفضله وخَلَفِه، عكس حال أهل الكبر والنفرة، وأهل الغنى عن الله الذين لا حاجة في صلاتهم إلى ربهم يسألونه إياها، والذين لا ينحرون له خوفًا من الفقر، وتركًا لإعانة الفقراء وإعطائهم، وسوء الظن منهم بربهم، ولهذا جمع الله بينهما في قوله تعالى : "قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ" [الأنعام: ١٦٢]، والنسك هي الذبيحة ابتغاء وجهه.

---

(١) مفاتيح الغيب (١٦ /٢٢٢)

(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ٢١٤)

والمقصود: أن الصلاة والنسك هما أَجَلُّ ما يتقرب به إلى الله، فإنه أتى فيهما بالفاء الدالة على السبب؛ لأن فعل ذلك وهو الصلاة والنحر سبب للقيام بشكر ما أعطاه الله إياه من الكوثر، والخير الكثير، فشكر المنعم عليه وعبادته أعظمها هاتان العبادتان، بل الصلاة نهاية العبادات، وغاية الغايات[1]".

- (**سورتا الكافرون والإخلاص**).

كان النبي ﷺ يقرن بين سورتي الإخلاص و الكافرون؛ وذلك أن: "سورة {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد} فيها التوحيد القولي العلمي، الذي تدل عليه الأسماء والصفات؛ ولهذا قال تعالى: "قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ" [الإخلاص: ١-٢] وسورة:{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} فيها التوحيد القصدي العملي، كما قال تعالى: "قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ" [الكافرون: ١-٢]، وبهذا يتميز من يعبد الله ممن يعبد غيره وإن كان كل واحد منهما يقر بأن الله رب كل شيء، ويتميز عباد الله المخلصون الذين لم يعبدوا إلا إياه، ممن عبد غيره وأشرك به[2]".

٤ . إعمال أنواع الدلالة في استخراج الهدايات من الآيات الكريمة.

أنواع الدلالة:

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٣١-٥٣٢)

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٣٩٤)، كما ثبت في الركعتين قبل الفجر، وبعد المغرب، والوتر. للوقوف على الأحاديث الواردة في ذلك وتخريجها انظر: أصل صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم للألباني: (٢/٤٥٢، ٤٨٨، ٥٣٩)

التطبيق[1]:

- قال تعالى: "لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ" [الأعراف: ٥٦].

قال ابن القيم: "إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ" له دلالة **بمنطوقه**، ودلالة **بإيمائه وتعليله**، ودلالة **بمفهومه**، **فدلالته بمنطوقه** على قرب الرحمة من أهل الإحسان، **ودلالته بتعليله وإيمائه** على أن هذا القرب مُستَحَقٌّ بالإحسان، فهو السبب في قرب الرحمة منهم، **ودلالته بمفهومه** على بعد الرحمة من غير المحسنين. **فهذه ثلاث دلالات لهذه الجملة**[2]".

- قال تعالى: "تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝٣ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ "[غافر: ٢ - ٤].

قال ابن القيم: " وتأمل كيف افتتح الآية بقوله: تنزيل، والتنزيل **يستلزم** عُلُوَّ المُنَزَّل من عنده، لا تَعْقِل العرب من لغتها بل ولا غيرها من الأمم السليمة الفطرة إلا ذلك.

وقد أخبر أن تنزيل الكتاب منه، فهذا يدل على شيئين:

أحدهما: علوه تعالى على خلقه.

---

(١) المقصود بهذه التطبيقات: التمثيل لإعمال العلماء أنواع الدلالة لاستخراج الحِكَم والهدايات والأحكام من آي القرآن الكريم.

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ١٧)

والثاني: أنه هو المتكلم بالكتاب المنزل من عنده لا غيره.

فإنه أخبر أنه منه، وهذا **يقتضي** أن يكون منه قولاً كما أنه منه تنزيلاً. فإن غيره لو كان هو المتكلم به لكان الكتاب من ذلك الغير، فإن الكلام إنما يضاف إلى المتكلم به، ومثل هذا " وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي "[السجدة:١٣]، ومثله: قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ "[النحل: ١٠٢]،ومثله "تَنْزِيل من حَكِيم حميد"[فصلت:٤٢]، فاستمسك بحرف (من) في هذه المواضع، فإنه يقطع حُجَج شَغَب المعتزلة والجهمية. وتأمل كيف قال: تَنْزِيل مِنْهُ و لم يقل تنزيله، **فتضمنت** الآية إثبات علوه وكلامه وثبوت الرسالة. ثم قال:تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ"[فصلت: ٢]،**فتضمن** هذان الاسمان صفتي القدرة والعلم وخلق أعمال العباد وحدوث كل ما سوى الله؛ لأن القَدَر هو قُدرة الله كما قال أحمد بن حنبل، **فتضمنت** إثبات القدر، ولأن عزته تمنع أن يكون في ملكه ما لا يشاؤه، أو أن يشاء ما لا يكون، فكمال عزته تُبْطِل ذلك. وكذلك كمال قدرته تُوجب أن يكون خالق كل شيء، وذلك ينفي أن يكون في العالم شيء قديم لا يتعلق به خلقه؛ لأن كمال قدرته وعزته يُبْطِل ذلك.ثم قال تعالى: "غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ " [غافر: ٣]، والذنب مخالفة شرعه وأمره، **فتضمن** هذان الاسمان إثبات شرعه وإحسانه وفضله. ثم قال تعالى: {شَدِيدُ الْعِقَابِ}، وهذا جزاؤه للمذنبين، و"ذي الطول"جزاؤه للمحسنين، فتضمنت الثواب والعقاب. ثم قال تعالى: {لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [غافر: ٣]، فتضمن ذلك التوحيد والمعاد. فتضمنت الآيتان إثبات صفة العلو، والكلام، والقدرة، والعلم، والشرع، والقَدَر، وحدوث العالم، والثواب والعقاب، والتوحيد والمعاد. وتنزيل الكتاب منه على لسان رسوله ﷺ **يتضمن** الرسالة والنبوة. فهذه عشرة قواعد الإسلام والإيمان تجلى على سمعك في هذه الآية العظيمة. ولكن خَوْدٌ تُزَفُّ إلى ضرير مقعد فهل خطر ببالك قط أن هذه

الآية **تتضمن** هذه العلوم والمعارف مع كثرة قراءتك لها وسماعـــك إياهـــا؟! وهكذا سائر آيات القرآن، فما أشَدَّها من حسرة وأعظمها من غَبْنَة على من أفنى أوقاته في طلب العلم، ثم يخرج من الدنيا وما فهم حقـــائق القـــرآن ولا باشر قلبه أسراره ومعانيه، فالله المستعان[1]".

أولاً: (دلالة المنطوق والمفهوم).

١- « دلالة المنطوق »[2]

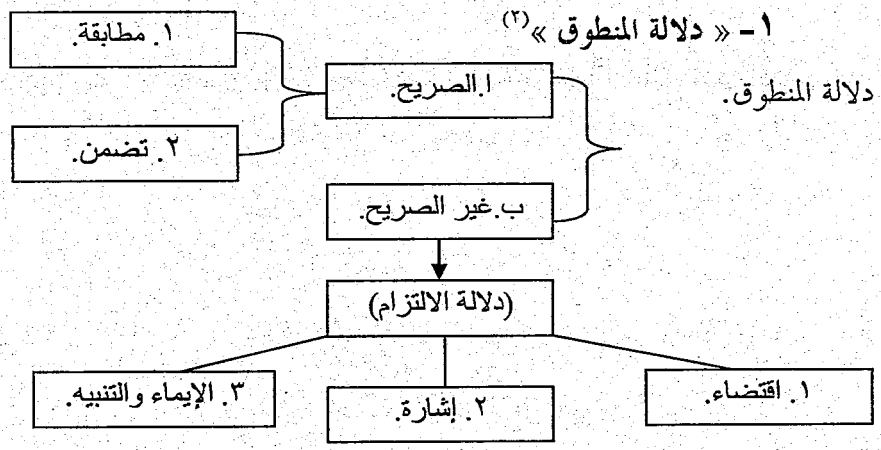

أ. المنطوق الصريح وهو نوعان:

الأول: دلالة المطابقة:[3]

التطبيق:

---

(١) بدائع الفوائد (١/١٩٣-١٩٤)

(٢)وهو:المعنى المستفاد من اللفظ من حيث النطق به.انظر:شرح الكوكـــب المـــنير(٣/ ٤٧٣)

(٣) هي دلالة اللفظ على تمام المعنى الموضوع له اللفظ.انظر:البحرالمحيط في أصول الفقه (٢/٢٦٩)،معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعـــة (٤٤٦).والمقصـــود:أنك إذا حملت اللفظ على المعاني الداخلة تحته جميعاً فذلك من قبيل المطابقة. وبناء على ذلـــك يمكنك تطبيق ذلك على الأمثلة المذكورة وغيرها.

- قال تعالى: شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [البقرة:١٨٥].

قال ابن عثيمين: "هذه الهداية تشمل: هداية العلم؛ وهداية العمل؛ وهي التي يُعبَّر عنها أحيانًا بهداية الإرشاد، وهداية التوفيق؛ فالإنسان إذا صام رمضان وأكمله، فقد منّ الله عليه بهدايتين: هداية العلم، وهداية العمل.قوله تعالى: "وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"، أي تقومون بشكر الله عز وجل؛ و (لعل) هنا للتعليل؛ و "تَشْكُرُونَ"على أمور أربعة؛ إرادة الله بنا اليسر؛ عدم إرادته العسر؛ إكمال العدة؛ التكبير على ما هدانا؛ هذه الأمور كلها نِعَم تحتاج منا أن نشكر الله عز وجل عليها؛ ولهذا قال تعالى: "وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"،و(الشكر) هو القيام بطاعة المنعم بفعل أوامره، واجتناب نواهيه[1]".

- قال تعالى:" وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ "[البقرة: ١٩٦].لا تفكر في تصميم حج مختصر[2].

- قال تعالى:وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ

(١) تفسير القرآن الكريم (البقرة) للعثيمين (٣٣٦/٢)

(٢) ليدبروا آياته (١٩/٥)

نَفْسَهُۥ ۚ "[البقرة:٢٣١].إنها تربية قرآنية تؤكد أن الاعتداء على الآخرين ظلم للنفس أولاًبتعريضها لسخط الله وغضبه[١]

- قال تعالى: "وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ " [العنكبوت: ٦٩].

قال السعدي: "دل هذا على أن أحرى الناس بموافقة الصواب أهل الجهاد، وعلى أن من أحسن فيما أُمِرَ به أعانه الله ويسر له أسباب الهداية، وعلى أن من جد واجتهد في طلب العلم الشرعي، فإنه يحصل له من الهداية والمعونة على تحصيل مطلوبه أمور إلهية خارجة عن مُدْرَك اجتهاده، وتيسر له أمر العلم، فإن طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نوعي الجهاد الذي لايقوم به إلا خواص الخلق[٢]".

وقال ابن القيم: "علق سبحانه الهداية بالجهاد، فأكمل الناس هداية أعظمهم جهادا، وأفرض الجهاد جهاد النَّفس وجهاد الهوى وجهاد الشَّيطان وجهاد الدُّنيَا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رِضاهُ الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد فَاتَهُ من الهدى بِحَسب ما عطل من الجهاد.

قال الجُنَيد: والَّذين جاهدوا أهواءهم فِينَا بالتوبة لنهدينهم سبل الإخلاص. ولا يتَمَكَّن من جهاد عدوه فِي الظَّاهِر إلا من جاهد هذه الأعدَاء باطنا، فمن نُصِر عَلَيهَا نُصِر على عدوه، ومن نُصِرت عليه نُصِر عليه عدوه[٣]".

---

(١) ليدبروا آياته (٥٢/١)

(٢) تفسير السعدي (ص ٦٣٥)

(٣) الفوائد (ص٥٩)

الثاني: دلالة التضمن:[1]

التطبيق:

- قال تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ"[البقرة: ١٨٣].

قال شيخ الإسلام: "لكن أهل الكتابين بدّلوا؛ ولهذا نهى النبي ﷺ عن تقدم رمضان باليوم واليومين، وعلل الفقهاء ذلك بما يُخاف من أن يُزاد في الصوم المفروض ما ليس منه، كما زاده أهل الكتاب. من النصارى، فإنهم زادوا في صومهم، وجعلوه فيما بين الشتاء والصيف، وجعلوا له طريقة من الحساب يتعرفونه بها[2]".وقال السعدي: "وفيه تنشيط لهذه الأمة بأنه ينبغي لكم أن تنافسوا غيركم في تكميل الأعمال، والمسارعة إلى صالح الخصال، وأنه ليس من الأمور الثقيلة التي اختصيتم بها[3]".

- قال تعالى: مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ [آل عمران:٧٩].

قال ابن كثير:"قال الضحاك:حق على من تعلم القرآن أن يكون فقيهًا[4]".

---

(١) وهي: دلالة اللفظ على بعض معناه. انظر: البحر المحيط في أصول الفقه (٢/ ٢٦٩). والمعاني المشار إليها في الأمثلة أعلاه هي من هذا النوع. فتأمل.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٨٦)

(٣) تفسير السعدي (ص ٨٦)

(٤) تفسير ابن كثير (٢/٦٦)

- قال تعالى:"وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ "[السجدة: ٢٤]. قال ابن كثير: "قال قتادة وسفيان: (لما صبروا عن الدنيا) قال سفيان: (هكذا كان هؤلاء، ولا ينبغي للرجل أن يكون إمامًا يُقْتَدَى به حتى يتحامى عن الدنيا)[١]".

ب . المنطوق غير الصريح (دلالة الالتزام)[٢]، ويدخل تحتها ثلاثة أنواع:

الأول: دلالة الاقتضاء:[٣]

التطبيق :

- قال تعالى:"وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ "[البقرة:١٠٩]. قال القَصَّاب[٤]: "دليل واضح لمن تدبره أن حرمان التوفيق أقعدهم عن الإيمان، لما حسدوا عليه

---

(١) تفسير ابن كثير(٦/٣٧١)

(٢) وهي دلالة اللفظ على خارجٍ عن مُسَمَّاه لازم له لزوماً ذهنياً،أوخارجياً.انظر: البحرالمحيط في أصول الفقه(١/٢٢٩)،معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة (ص٤٤٦)

(٣)وهي:أن يتضمن الكلام إضماراً ضرورياً لابد من تقديره:لأن الكلام لا يستقيم دونه:إما لتوقف الصدق عليه،وإما لتوقف الصحة عليه نقلاً،أو عقلاً انظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي(٣/٦٤)،معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة (ص٤٤٧)

(٤) هو:أبوأحمدمحمد بن علي بن محمد الكرجي الغازي المجاهد.وعرف بالقصاب لكثرة ما قَتَل في مغازيه.عاش إلى حدود:٣٦٠هـ.انظر:سير أعلام النبلاء (١٦/٢١٣)

غيرهم وتبين لهم حقيقته؛ إذ محال أن يحسدوا غيرهم على ما هو باطل وفي أيديهم بزعمهم ما هو خير منه[1]".

- قال تعالى: "وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا "[النساء:٨].

قال السعدي: "ويُؤْخَذ من المعنى أن كل من له تَطَلُّع وتَشَوُّف إلى ما حضر بين يدي الإنسان، ينبغي له أن يعطيه منه ما تيسر، كما كان النبي ﷺ يقول: «**إذا جاء أحدَكم خادمُه بطعامه فليجلسه معه، فإن لم يجلسه معه، فليناوله لقمة أو لقمتين**»[2]، أو كما قال. وكان الصحابة ﷺ - إذا بدأت باكورة أشجارهم- أتوا بها رسول الله ﷺ فبرَّك عليها، ونظر إلى أصغر وليد عنده فأعطاه ذلك[3]، علمًا منه بشدة تشوفه لذلك، وهذا كله مع إمكان الإعطاء[4]".

---

(١) نكت القرآن (١/ ١٣٢)

(٢) وأصله مخرج في صحيح البخاري، من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أتى أحدَكم خادمُه بطعامِه، فإنْ لم يُجلسهُ معه، فليناولْهُ أُكلةً أو أُكلتين، أو لُقمةً أو لُقمَتين، فإنَّهُ وَلِيَ حرَّهُ وعِلاجَهُ». كتاب الأطعمة، باب الأكل مع الخادم. حديث رقم: (٥٤٦٠).

(٣) وأصله مخرج في صحيح مسلم، من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ: (كان يؤتى بأول الثمر، فيقول: «اللهم بارك لنا في مدينتنا، وفي ثمارنا، وفي مدنا، وفي صاعنا بركة مع بركة»، ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان). كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها وبيان حدود حرمها. حديث رقم: (١٣٧٣).

(٤) تفسير السعدي (ص ١٦٥)

- قال تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ "[المائدة: ٥٤].

قال السعدي : "وهذا يدل على قوة هممهم وعزائمهم، فإن ضعيف القلب ضعيف الهمة، تنتقض عزيمته عند لوم اللائمين، وتفتر قوته عند عذل العاذلين. وفي قلوبهم تَعَبُّد لغير الله، بحسب ما فيها من مراعاة الخلق وتقديم رضاهم ولومهم على أمر الله، فلا يسلم القلب من التعبد لغير الله، حتى لا يخاف في الله لومة لائم[1]".

- قال تعالى: "قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ "[الأنبياء:١١٢]. قال ابن هبيرة: "المراد منه: كن أنت- أيها القائل- على الحق ليمكنك أن تقول: احكم بالحق؛ لأن المُبْطِل لا يمكنه أن يقول: احكم بالحق[2]".

- قال تعالى: إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ "[النور:٦٢].

قال ابن القيم: "فإذا جعل من لوازم الإيمان أنهم لا يذهبون مذهبًا إذا كانوا معه إلا باستئذانه فأولى أن يكون من لَوَازِمِهِ أن لا يذهبوا إلى قولٍ ولا

---

(١) تفسير السعدي (ص ٢٣٥)

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (١٤٥/٢)

مذهبٍ علمي إلا بعد استئذانه، وإذنه يعرف بدلالة ما جاء به على أنه أذن فيه[1]".

- قال تعالى: لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ [الحشر:٨].قال أبو بكر بن عياش[2]: "أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ في القرآن؛ لأن الله تعالى يقول: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}فمن سماه الله صادقًا فليس يكذب،هم قالوا:يا خليفة رسول الله ﷺ[3]".

- قال تعالى: "وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ" [الحشر:١٠]. قال السعدي: "ذكر الله في هذا الدعاء نفي الغل عن القلب، الشامل لقليل الغل وكثيره،الذي إذا انتفى،ثبت ضده، وهو المحبة بين المؤمنين والموالاة والنصح، وغير ذلك مما هو من حقوق

---

(١) إعلام الموقعين (١/٤١)

(٢) هو: أبو بكر بن عياش الكوفي المقرئ الأسدي الحناط: اختلف في اسمه على عشرة أقوال أصحها:كنيته أو شعبة،كان من مشاهير القراء، وقرأ القرآن ثلاث مرات على عاصم،وكان عالماً فقيهاً في الدين. توفي سنة:١٩٣هـ.انظر:معرفة القراء للذهبي(١/ ٨٠-٨٣)، الأعلام للزركلي (٣/ ١٦٥)

(٣) تاريخ دمشق (٣٠/ ٢٩٨)

المؤمنين[1]".والمراد بدعاء اللاحق للسابق، والخلف للسلف أنهم متبعون لهم، أو هو تعليم لهم بأن يدعوا لمن قبلهم، ويذكروهم بالخير[2]".

- قال تعالى: "أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ "[التكاثر:١]. عن ميمون بن مهران قال: "قرأ عمر بن عبد العزيز: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}فبكى، ثم قال: {حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} ما أرى المقابر إلا زيارة، ولا بد لمن يزورها أن يرجع إلى الجنة، أو إلى النار[3]".وقال ابن القيم: "وتأمل كيف جعلهم عند وصولهم إلى غاية كل حي زائرين غير مستوطنين، بل هم مُستَودَعون في المقابر مدة، وبين أيديهم دار القرار، فإذا كانوا عند وصولهم إلى الغاية زائرين، فكيف بهم وهم في الطريق في هذه الدار؟ فهم فيها عابرو سبيل إلى محل الزيارة، ثم مُنتقِلون من محل الزيارة إلى المُستقر[4]".

الثاني: دلالة الإشارة:[5] وله صورتان:

الصورة الأولى: ما يُستَخرَج من نص واحد:

التطبيق:

- قال تعالى: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ "[البقرة:١٦٨].فتسمية استدراج الشيطان"خُطُوَات" فيه

---

(١) تفسير السعدي (ص ٨٥١)

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٨/ ١٧٩)

(٣) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (٢٧٩/١)

(٤) عدة الصابرين (ص ١٩٤)

(٥) هو:دلالة اللفظ على معنى ليس مقصوداً باللفظ في الأصل،ولكنه لازم للمقصود، فكأنه مقصود بالتبع لابالأصل.التعريفات للجرجاني٢٧/١،المذكرة في أصول الفقه ص٢٨٣

إشارتان:[١] الخطوة مسافة يسيرة، وهكذا الشيطان يبدأ بالشيء اليسير من البدعة، أو المعصية، حتى تألفها النفس.

[٢] قوله: "خُطُوَٰت"دليل على أن الشيطان لن يقف عند أول خطوة في المعصية[١].

- قال تعالى"هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ" [البقرة:١٨٧]. تأمل قوله تعالى"هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ،ومافيها من تربية الذوق والأدب في الكلام،إضافة إلى ما في اللباس من دلالة (الستر،والحماية،والجمال،والقرب) وهل أحد الزوجين للآخر إلا كذلك؟ وإن كانت المرأة في ذلك أظهر أثرًا كما يشير إلى ذلك البدء بضميرها"هُنَّ "[٢].

- قال تعالى: وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ [البقرة:١٨٧].قال البيضاوي:"وفي تجويز المباشرة إلى الصبح، الدلالة على جواز تأخير الغُسل إليه، وصحة صوم المُصبح جُنبًا[٣]".

- قال تعالى: "وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ

---

(١) ليدبروا آياته (٥٤/١)

(٢) ليدبروا آياته (٥٦/١)

(٣) تفسير البيضاوي (١٢٦/١)

وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ "[البقرة:١٩٦].قال القرطبي: "ففي دعاء رسول الله ﷺ للمحلقين ثلاثًا وللمقصرين مرة[1]دليل على أن الحلق في الحج والعمرة أفضل من التقصير،وهومقتضى قوله تعالى:وَلَا تَحْلِقُوا۟ ، و لم يقل تقصروا[2]".

- قال تعالى:"ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ "[التحريم:١٠].

قال الشيخ بكرأبوزيد:"فقوله سبحانه:{تحت}إعلام بأنه لا سلطان لهما على زوجيهما، وإنما السلطان للزوجين عليهما، فالمرأة لا تُسَاوَى بالرجل ولا تعلو فوقه أبدًا[3]".

الصورة الثانية: ما يُستَخرَج من مجموع دليلين فأكثر:

التطبيق:

"إن موسى عليه السلام سأل جَلَّ الأشياء فقال:" رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ " [الأعراف: ١٤٣]، وسأل أقل الأشياء فقال:"رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ "[القصص: ٢٤]، فنحن أيضا نسأل الله أَجَلَّ الأشياء وهي خيرات

(١) أخرجه البخاري (١٧٢٧)، ومسلم (١٣٠١)

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٨١)

(٣) حراسة الفضيلة (ص١٩)

الآخرة، وأقلها وهي خيرات الدنيا فنقول:" وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ"[البقرة ٢٠١][1]".

- قال تعالى في سورة البقرة وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ "[البقرة: ٢٣٣]، وقال في سورة الأحقاف: "حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا "[الأحقاف: ١٥]. قال القرطبي: "استنبط علي ﷺ مدة أقل الحمل-وهو ستة أشهر- من قوله تعالى: (وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً) وقوله تعالى: (وَالْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ)، فإذا فصلنا الحولين من ثلاثين شهرًا بقيت ستة أشهر[2]".

- قال تعالى في سورة طه: "قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى " [طه:٩٤]، وقال

(١) من أسرار التنزيل (ص ١٣٢)

(٢) تفسير القرطبي (٥/ ٢٦٢)، وانظر نحوه: مجموع الفتاوى (٣٤/ ١٠)، ومختصر الصواعق المرسلة (ص ١٠٤)

في سورة الأنعام: "وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ إلى قوله تعالى(أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ) [الأنعام: ٨٤- ٩٠].

- قال الشنقيطي: " هذه الآية الكريمة بِضَمِيمَةِ آية «الأنعام» إليها تدل على لزوم إعفاء اللِّحية، فهي دليل قرآني على إعفاء اللِّحية وعدم حلقها[١]".

- قال تعالى عن أيوب عليه السلام في سورة الأنبياء: "فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ" [الأنبياء: ٨٤]، وقال عنه في سورة ص: "وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ "[ص:٤٣].قال الشنقيطي: "قوله في (الأنبياء):" وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ" مع قوله في (ص):" وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ" فيه الدلالة الواضحة على أن أصحاب العقول السليمة من شوائب الاختلال، هم الذين يعبدون الله وحده ويطيعونه. وهذا يؤيد قول من قال من أهل العلم: إن من أوصى بشيء من ماله لأعقل الناس؛ أن تلك الوصية تُصْرَف لأتقى الناس وأشدهم طاعة لله تعالى؛ لأنهم هم أولو الألباب، أي العقول الصحيحة السالمة من الاختلال[٢]".

---

(١) أضواء البيان (٤/٦٣٠)

(٢) أضواء البيان (٤/ ٨٤٩)، وانظر نحوه: في تفسير النيسابوري (٥/ ٦٠٣)

- قال تعالى:" وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ "[الحديد:١٠]، وقال عز وجل: إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ" [الأنبياء:١٠١].قال ابن حزم: "فجاء النص أن من صَحِبَ النبي ﷺ فقد وعده الله تعالى الحسنى وقد نص الله تعالى:{إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ}[آل عمران:٩][1]

- قال الإمام سفيان بن عيينة: "إني قرأت القرآن فوجدت صفة سليمان عليه السلام مع العافية التي كان فيها "نِعْمَ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ" [ص:٣٠]، ووجدت صفة أيوب عليه السلام مع البلاء الذي كان فيه:" نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ [ص:٤٤]، فاستوت الصفتان، وهذا مُعَافى، وهذا مُبتلى، فوجدت الشكر قد قام مقام الصبر، فلما اعتدلا كانت العافية مع الشكر أحب إلي من البلاء مع الصبر[2]".

- قال تعالى: "شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ "[الشورى: ١٣]، مع قوله: "وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ

(١) المحلى (٤٤/١)

(٢) تهذيب الكمال (١٩٣/١١)

إِلَيَّ ۚ " [لقمان: ١٥]، مع العلم بأحوال الصحابة ﷺ، وشدة إنابتهم، دليل على أن قولهم حجة، خصوصًا الخلفاء الراشدين ﷺ أجمعين[١].

- قال تعالى في سورة فاطر:"إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ"[فاطر: ٣٨]، وقال في سورة البينة:"إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ "[البينة: ٧-٨].قال ابن جماعة[٢]: "فاقتضت الآيتان: أنَّ العلماء هم الذين يخشون الله تعالى، وأنَّ الذين يخشون الله تعالى هم خير البريَّة؛ فينتج بهذا أن العلماء هم خير البريَّة[٣]".

الثالث: دلالة الإيماء والتنبيه:[٤]

التطبيق:

---

(١) تفسير السعدي (ص٧٥٤)

(٢) هو: محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعيّ، بدر الدين، أبو عبد الله: قاض، من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين. ولد في حماة. وولي الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر، فقضاء الشام، ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمي. كان من خيار القضاة. وتوفي بمصر سنة: ٧٣٣هـ. انظر: معجم الشيوخ الكبير للذهبي (٢/ ١٣٠)، والأعلام للزركلي (٥/ ٢٩٧)

(٣) تذكرة السامع والمتكلم (ص ٦)

(٤) وهي: أن يُذْكَر وصف مُقْتَرِنٌ بحكم في نص من نصوص الشرع على وجه لو لم يكن ذلك الوصف عِلّة لذلك الحكم لكان الكلام معيباً. انظر: نشر البنود (١/ ٢٨٥- ٢٨٦)، المذكرة في أصول الفقه (ص ٢٨٣)

- قال تعالى: يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ "[المائدة: ٤١].قال السعدي: "دل على أن طهارة القلب سبب لكل خير، وهو أكبر داعٍ إلى كل قول رشيد وعمل سديد[1]".

- قال تعالى: "ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ" [الأعراف: ٥٥].قال ابن القيم: "في قوله: إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ عقب قوله: ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً دليل على أن من لم يَدْعُه تضرعًا وخُفْيَة فهو من المُعتدين الذين لايُحبهم، فقسمت الآية الناس إلى قسمين: داعٍ لله تضرعًا وخُفية، ومُعْتَدٍ بترك ذلك[2]".

- قال تعالى: "وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ "[الأعراف:٢٠٤].

قال السعدي: "فإن مَن لازَم على هذين الأمرين حين يُتلَى كتاب الله، فإنه ينال خيرًا كثيرًا وعلمًا غزيرًا، وإيمانًا مستمرًا متجددًا، وهدى متزايدًا، وبصيرة في دينه؛ ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهما، فدل ذلك على أن

(١) تفسير السعدي (ص ٢٣١)

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ١٤)

من تُلي عليه الكتاب فلم يستمع له وينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير كثير[1]".

- قال تعالى:"وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا "[مريم:٤٨-٤٩].قال السعدي: "ولما كان مفارقة الإنسان لوطنه ومألفه وأهله وقومه من أشق شيء على النفس لأمور كثيرة معروفة، ومنها انفراده عمن يتعزز بهم ويتكثر، وكان من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، واعتزل إبراهيم قومه، قال الله في حقه: {فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلا} من إسحاق ويعقوب {جَعَلْنَا نَبِيًّا} [2]".وقال الشنقيطي عند تفسير الآية: "بين تعالى...أن اعتزال الكفار والأوثان والبراءة منهم؛ من فوائده تفضل الله تعالى بالذرية الطيبة الصالحة[3]".

- قال تعالى: "قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ "[طه:٨٣-٨٤]. قال ابن القيم: "وظاهر الآية أن الحامل لموسى على العجلة هو طلب رضى ربه، وأن رضاه في المبادرة إلى أوامره والعجلة إليها؛ ولهذا احتج السلف بهذه الآية على

(١) تفسير السعدي (ص ٣١٤)

(٢) تفسير السعدي(ص ٤٩٤)

(٣) أضواءالبيان(٢/٥٧٠)،وانظرنحوه:تفسيرابن كثير(٤/٥٧٢-٥٧٣)،(٥/٢٣٦)، والقواعد الحسان (ص ١٦٤)

أن الصلاة في أول الوقت أفضل، سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يذكر ذلك، قال: إن رضى الرب في العجلة إلى أوامره[1]".

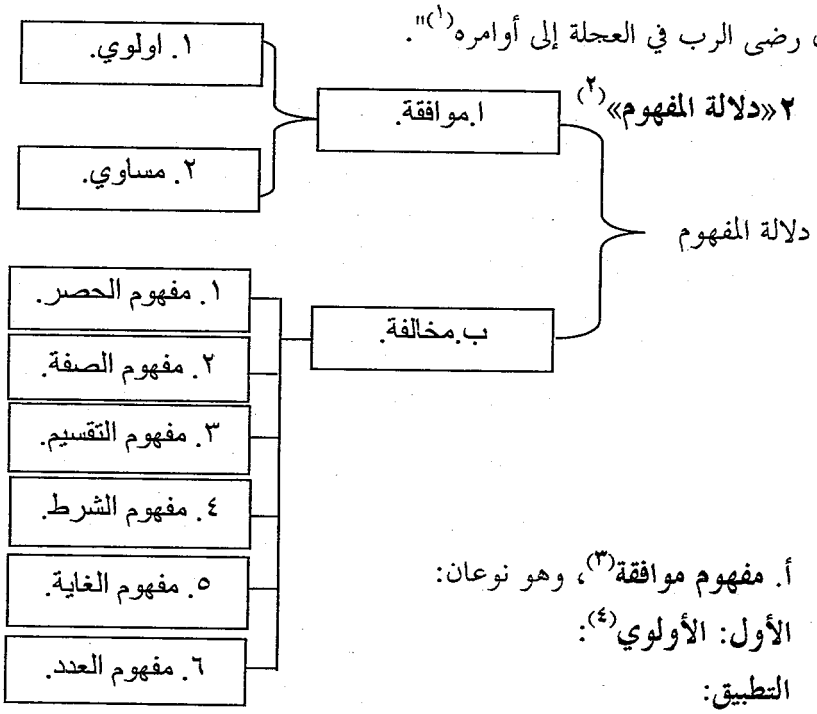

أ. **مفهوم موافقة**[٣]، وهو نوعان:

الأول: الأولوي[٤]:

التطبيق:

- قال تعالى: " قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ "[البقرة: ٩٣]. قال شيخ الإسلام: "أي أُشربوا حُبَّه. فإذا كان

(١) مدارج السالكين (٣/٦٠)

(٢) وهو: المعنى المستفاد من حيث السكوت اللازم للفظ. انظر: شرح الكوكب المنير (٣/ ٤٧٣)

(٣) وهو: ما وافق المسكوتُ عنه المنطوقَ في الحكم. ويُسمى: (فحوى الخطاب) و (لحن الخطاب). انظر: شرح الكوكب المنير (٣/ ٤٨١)

(٤)وهو: ما كان المسكوت عنه أولى بالحكم من المنطوق. انظر: شرح الكوكب المنير (٣/ ٤٨٢)، المذكرة في أصول الفقه (ص ٢٨٤)

المخلوق الذي لا تجوز به محبته قد يحبه القلب حبًّا يجعل ذلك شرابًا للقلب، فحب الربّ تعالى أن يكون شرابًا يشربه قلوب المؤمنين أولى وأحرى[1]".

- قال تعالى:" وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ" [البقرة:١٢٧].قال ابن كثير : "روى ابن أبي حاتم عن وُهَيْب بن الورد أنه قرأ: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا} ، ثم يبكيّ ويقول: ياخليل الرحمن ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مشفق أن لا يتقبل منك![2]".

- قال الشنقيطي: "قال بعض أهل العلم: أرجى آية في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ آية الدَّيْن، وهي أطول آية في القرآن العظيم، وقد أوضح الله تبارك وتعالى فيها الطُّرُقَ الكفيلةَ بصيانة الدَّيْنِ من الضياع ولو كان الدَّيْنُ حقيرًا، كما يدل عليه قوله تعالى فيها: "وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ" الآية [البقرة:٢٨٢]. قالوا: هذا من المحافظة في آية الدَّيْنِ على صيانة مال المسلم، وعدم ضياعه ولو قليلاً يدل على العناية التَّامَّةِ بمصالح المسلم، وذلك يدل على أن اللَّطيف الخبير لا يُضَيِّعُهُ يوم القيامة عند اشتداد الهول، وشدة حاجته إلى ربه[3]".

- قال شيخ الإسلام: "قد أمر الله سبحانه عباده أن يَخْتِمُوا الأعمال الصالحات بالاستغفار. فكان النَّبِيُّ ﷺ إذا سلَّمَ من الصلاة يستغفر ثلاثًا ويقول: «**اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ**

(١) جامع المسائل لابن تيمية (١/١٣٢- ١٣٣)

(٢) تفسير ابن كثير (١/٤٢٧)

(٣) أضواء البيان (٦/ ١٨٣)

وَالْإِكْرَامِ»[1] كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عنه، وقد قال تعالى: "وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ"[آل عمران:١٧]، فأمرهم أن يقوموا بالليل ويستغفروا بالأسحار.وكذلك ختم سورة المزمل وهي سورة قيام الليل بقوله تعالى {وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المزمل: ٢٠][2]".وإذاكان ذلك بعد هذه الطاعات؛فإنه يكون بعدالتقصير والمعصية أولى وآكد.

- قال تعالى: "وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ "[النساء:٣٢].قال الشيخ بكر أبوزيد: "فإذا كان هذا النهي-بنص القرآن-عن مجرد التمني،فكيف بمن ينكر الفوارق الشرعية بين الرجل والمرأة، وينادي بإلغائها، ويطالب بالمساواة،ويدعو إليها باسم المساواة بين الرجل والمرأة؟[3]"

-قال ابن مفلح[4]: "وإذا كان توقف القلب عن الرضا بحكم الرسول ﷺ يخرج عن الإيمان، كما قال تعالى: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا [النساء:٦٥]، فكيف يصح الإيمان مع الاعتراض على الله تعالى؟[5]".

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٩١)

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٢٥٤)

(٣) حراسة الفضيلة (ص ٢١)

(٤) هو: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبدالله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي:أعلم أهل عصره بمذهب الإمام أحمدبن حنبل.ولدونشأ في بيت المقدس، وتوفي بصالحية دمشق.توفي:٧٦٣هـ.الدررالكامنة٦/٤١الأعلام للزركلي٥/٣٠٣

(٥) الآداب الشرعية (١٩٤/٢)

- قال تعالى:وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ [الأعراف:٢١] .قال ابن كثير في تفسير الاستعاذة: "وقد أقسم للوالد إنه لمن الناصحين ، وكذب، فكيف معاملته لنا وقد قال: {فَبِعِزَّتِكَ لأغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} [ص: ٨٢-٨٣] [(١)]".

- قال تعالى: وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ [التوبة:٦٥،٦٦].قال ابن تيمية:"وهذا نص في أن الاستهزاء بالله وآياته وبرسوله كفر، فالسب المقصود بطريق الأولى[(٢)]".

- قال تعالى: " مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ [التوبة:١٠٨].قال العز بن عبد السلام: "إذا أحب مولاك المتطهرين من الأحداث والأنجاس، فما الظن بمن تطهر من الذنوب والأدناس![(٣)]".

- قال تعالى:قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ [يوسف:٣٣]. قال الطنطاوي: "كيف تُبرّئ نفسك وهناك من هو خير منك، يوسف عليه السلام يقول عن النساء: وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ [يوسف:٣٣][(٤)]".

---

(١) تفسير ابن كثير(١/١١٠)

(٢) الصارم المسلول (١/٣١)

(٣) شجرة المعارف والأحوال (ص ٥١)

(٤) نور وهداية للطنطاوي (١٢٤-١٢٥)

- قال تعالى:"فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ "[الروم:٥٠].قال السعدي:"فإذا كانت الأرض الخاشعة الخالية من كل نبت إذا أنزل الله عليها المطر اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج،واختلط نبتها وكثرت أصنافه ومنافعه،جعله الله تعالى من أعظم الأدلة الدالة على سعة رحمته وكمال قدرته وأنه سيُحيي الموتى للجزاء؛ فالدليل في القلب الخالي من العلم والخير حين يُنزل الله عليه غيث الوحي فيهتز بالنبات ويُنبت من كل زوج بهيج من العلوم المختلفة النافعة، والمعارف الواسعة، والخير الكثير، والبر الواسع، والإحسان الغزير، والمحبة لله ورسوله، وإخلاص الأعمال الظاهرة والباطنة لله وحده لا شريك له، والخوف والرجاء والتضرع والخشوع لله، وأنواع العبادات، وأصناف التقربات، والنصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وغير ذلك من العلوم والأعمال الظاهرة والباطنة، والفتوحات الربانية مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، أعظم من الأرض بكثير على سعة رحمة الله، وواسع جوده، وتنوع هباته، وكمال اقتداره وعزته، وأنه يحيي الموتى للجزاء، وأن عنده في الدار الأخرى من الخيرات والفضل ما لا يعلمه أحد غيره[1]".

- قال تعالى: لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا [الأحزاب:٨].قال ابن القيم:"فإذا سُئِل الصادقون وحُوسبوا على صدقهم فما الظن بالكاذبين؟[2]".

(١) المواهب الربانية (ص ٩٣)

(٢) إغاثة اللهفان (٨٣/١)

-قال تعالى:يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ [الأحزاب:٣٢].إذا كان هذا الطمع في أمهات المؤمنين فلا بد أن يكون في غيرهن بطريق الأولى، فإن الله اختار لنبيه أفضل النساء وأعفهن، ومع ذلك أمرهن بالحجاب ونهاهن عن الخضوع بالقول صيانة لهن؛ فغيرهن أولى بالصيانة والتحفظ والبعد عن أسباب العهر والفتنة(١).

- قال تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ "[الجمعة:٩].قال السعدي:"أي: اتركوه في هذه الحالة التي أُمرتم بالمضي فيها إلى الصلاة؛ وإذا أُمر بترك البيع الذي ترغب فيه النفوس، وتحرص عليه، فترك غيره من الشواغل من باب أولى، كالصناعات وغيرها(٢)".

- قال تعالى: فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا [الشمس:١٣-١٤].قال شيخ الإسلام: "إذا كان هذا عذابه لهؤلاء، وذنبهم مع الشرك عقر الناقة التي جعلها الله آية لهم، فمن انتهك محارم الله واستخف بأوامره ونواهيه وعقر عباده وسفك دماءهم كان أشد عذابًا(٣)".

---

(١) ليدبروا آياته (٢/١٧٥،١٧٤)

(٢) تفسير ابن سعدي (ص ٨٦)

(٣) مجموع الفتاوى (١٦/٢٥٠)

- قال تعالى: "حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ "[التكاثر: ٢].

إذا كانت الإقامة في القبر مجرد زيارة مع أنها قد تمتد آلاف السنين، فبم نصف إقامتنا في الدنيا التي لا تتجاوز عدد سنين؟ تأمل" قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ "[المؤمنون: ١١٣]، فيا طول حسرة المفرطين![1].

- قال تعالى"وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ " [الماعون: ٧].

قال الطبري: "ويمنعون الناس منافع ما عندهم، وأصل الماعون من كلّ شيء منفعته، يقال للماء الذي يترل من السحاب ماعون[2]". فإذا كانوا يمنعون ما لايتضررون ببذله، فهم لما سواه أمنع.

الثاني: المُساوي:[3]

التطبيق:

- قال تعالى: "وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا"[النساء:٨].

قال السعدي : "يؤخذ من المعنى، أن كل من له تَطَلُّع وتَشَوُّف إلى ما حضر بين يدي الإنسان، ينبغي له أن يعطيه منه ما تيسر[4]".

---

(١) ليدبروا آياته (١/٣٢٧)

(٢) تفسير الطبري (٢٤/٦٣٤)

(٣) وهو: ما كان المسكوت عنه مساوياً للمنطوق في الحكم. انظر: شرح الكوكب المنير (٣/ ٤٨٢)، المذكرة في أصول الفقه (ص ٢٨٤)

(٤) تفسير السعدي (ص ١٦٥)، وقد سبق في (ص ٣٥)

- قال تعالى: "وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ "[المائدة:١٢-١٣].قال السعدي: "فكل من لم يقم بما أمر الله به، وأخذ به عليه الالتزام، كان له نصيب من اللعنة وقسوة القلب، والابتلاء بتحريف الكلم، وأنه لايوفق للصواب، ونسيان حظ مما ذُكِّر به، وأنه لابد أن يُبتلى بالخيانة، نسأل الله العافية[1]".

ب . مفهوم مخالفة[2]، وهو أنواع:

الأول: مفهوم الحصر:

التطبيق:

- قال تعالى"وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا "[الإنسان:٨، ٩].قال شيخ الإسلام : "ومن طلب من الفقراء الدعاء أو الثَّناءَ خرج من هذه الآية؛ فإن في الحديث الذي في سنن أبي داود: «**مَنْ أَسْدَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ**

(١) تفسير السعدي (ص ٢٢٥)

(٢) وهو: إثبات نقيض حكم المنطوق للمسكوت. انظر: البحر المحيط في أصول الفقه (٥/ ١٣٢)

تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»[1]، ولهذا كانت عائشة إذا أرسلت إلى قومٍ بهدية تقول للرسول: اسمع ما دعوا به لنا؛ حتى ندعو لهم بمثل ما دعوا ويبقى أجرنا على الله[2][3]".

الثاني: مفهوم الصفة:[4]

التطبيق:

- قال تعالى:"مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ"[آل عمران: ٧٩].

"دَلَّتِ الآية على أن العلم والتعليم والدراسة تُوجِبُ كَوْنَ الإنسان رَبَّانِيًّا، فمن اشتغل بالتعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع سعيُه وخاب عمله، وكان مثله مثل من غَرَسَ شجرةً حسناء مُونِقَةً بمنظرها ولا منفعة بثمرها؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ**[5]»[6]".

---

(١) أصله مخرج في سنن أبي داود (١٦٧٢)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٠٦٢)

(٣) مجموع الفتاوى (١١/ ١١١)

(٤) وهو: تعليق الحكم على الذات بأحد الأوصاف. انظر: البحر المحيط في أصول الفقه (٥/ ١٥٥)

(٥) أخرجه النسائي في السنن الصغرى (٥٤٧٠)، والكبرى(٧٨٢١)، وصححه الألباني.

(٦) مفاتيح الغيب (٢٧٢/٨)

- قال تعالى: "وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ "[القصص:٨٠].قال ابن هبيرة : "إيثار ثواب الآجل على العاجل حالة العلماء، فمن كان هكذا فهو عالم، ومن آثر العاجل على الآجل فليس بعالم[١]". قال تعالى:" وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ"[سبأ: ٦].قال ابن القيم : "وهذا دليل ظاهر أن الذي نراه مُعارضًا للنقل، ويقدم العقل عليه، ليس من الذين أوتوا العلم في قبيل ولا دبير ولا قليل ولا كثير[٢]".قال تعالى:" كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ "[المطففين:١٥]. قال ابن كثير: "قال الإمام أبوعبد الله الشافعي: (في هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عز وجل يومئذ). وهذا الذي قاله الإمام الشافعي في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية، كما دل عليه منطوق قوله تعالى: "وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ "[القيامة: ٢٢-٢٣][٣]".

ثانيًا: العموم والخصوص[٤]، والإطلاق والتقييد[٥].

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (١٤٧/٢)

(٢) الصواعق المرسلة (٨٥١/٣)

(٣) تفسير ابن كثير (٣٥١/٨)

(٤) العام:مايستغرق جميع ما يصلح له،بحسب وضع واحد،دفعة،بلاحصر.انظر: نشر البنود(٥١٢/١)، معالم أصول الفقه (ص٤١٢).ويقابله: (الخاص) فهو كل ما ليس بعام. وعرفه المَحَلِّي بقوله:"ما لا يتناول شيئين فصاعداً من غير حصر".انظر:شرح الورقات للمَحَلِّي(ص١٣٠).أو"مالايقتضي استغراق الجنس".انظرالأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات (ص ١٤٥).

(٥) المطلق:هوالمتناول لواحد لا بعينه با عتبار حقيقة شاملة لجنسه.انظر:روضة الناظر (١٠١/٢).والمقيد:هوالمتناول لمعين، أوغير معين موصوف بأمر زائد على الحقيقة. انظر: روضة الناظر (٢/ ١٠٢).

*ويلحق بذلك: حمل المُشْتَرَك[1] على معنييه أو معانيه، ومَرْجِع الاستثناء، وذِكْر العام بعد الخاص، والعكس.

العموم والخصوص:

التطبيق:

- قال تعالى:"إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ "[الفاتحة: ٥].قال ابن القيم: "النَّاسُ فِي هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ وَهُمَا الْعِبَادَةُ وَالِاسْتِعَانَةُ أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ: أَجَلُّهَا وَأَفْضَلُهَا: أَهْلُ الْعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ عَلَيْهَا، فَعِبَادَةُ اللهِ غَايَةُ مُرَادِهِمْ، وَطَلَبُهُمْ مِنْهُ أَنْ يُعِينَهُمْ عَلَيْهَا، وَيُوَفِّقَهُمْ لِلْقِيَامِ بِهَا، وَلِهَذَا كَانَ مِنْ أَفْضَلِ مَا يُسْأَلُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْإِعَانَةُ عَلَى مَرْضَاتِهِ، وَهُوَ الَّذِي عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِحِبِّهِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ، فَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، فَلَا تَنْسَ أَنْ تَقُولَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ: اللهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»[2].فَأَنْفَعُ الدُّعَاءِ: طَلَبُ الْعَوْنِ عَلَى مَرْضَاتِهِ، وَأَفْضَلُ الْمَوَاهِبِ: إِسْعَافُهُ بِهَذَا الْمَطْلُوبِ، وجميع الأدعية المأثورة مدارها على هذا، وعلى دفع ما يُضَادُّه، وعلى تكميله وتيسير أسبابه، فتأملها.وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: تَأَمَّلت أَنْفَعَ الدعاء فإذا هو سؤال الْعَوْن على مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة في:"إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ "[الفاتحة: ٥]"[3].

(١) المشترك: هو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين أو أكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة. انظر: البحر المحيط في أصول الفقه (٢/ ٣٧٧)

(٢) وأصله مخرج في سنن أبي داود (١٥٢٢)، وصحح الألباني.

(٣) مدارج السالكين (١/٩٩-١٠٠)

- قال تعالى: "وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا " [الكهف:٣٩]. قال ابن هبيرة: "ما قال: (ما شاء الله كانَ) أو (لا يكون)، بل أطلق اللفظ؛ لِيَعُم الماضي والمستقبل والراهن[١]".

- قال تعالى: وَسَلَـٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا [مريم:١٥].قال ابن كثير: "قال سفيان بن عيينة: أوحش مايكون الخلق في ثلاثة مواطن: يوم وُلِد، فيرى نفسه خارجًا مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قومًا لم يكن عاينهم، ويوم يُبعَث، فيرى نفسه في محشر عظيم، قال: فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا فخصه بالسلام عليه[٢]".

- قال تعالى:" إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ "[الأنبياء:١١٠].قال ابن هبيرة: "المعنى أنه إذا اشتدت الأصوات وتغالبت، فإنها حالة لا يسمع فيها الإنسان، والله عز وجل يسمع كلام كل شخص بعينه، ولا يُشغله سمع عن سمع[٣]".

- قال تعالى"يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ" [الحج:٢].

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/١٤٧)

(٢) تفسير ابن كثير (٥/٢١٧)

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٢/١٤٥)

قال ابن القيم: "المُرْضِع مَن لها ولد تُرضعه. والمُرضِعة من أَلقَمت الثدي للرضيع، وعلى هذا فقوله تعالى: "يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ"أبلغ من (مُرضِع) في هذا المقام؛ فإن المرأة قد تَذهَل عن الرضيع إذا كان غير مُبَاشِر للرضاعة، فإذا التقم الثدي واشتغلت برضاعه لم تَذْهَل عنه إلا لأمر أعظم عندها من اشتغالها بالرضاع.

وتأمل رحمك الله تعالى السر البديع في عدوله سبحانه عن كل حامل إلى قوله: "ذاتِ حَمْلٍ"، فإن الحامل قد تطلق على المُهَيَّأة للحمل، وعلى من هي في أول حملها ومبادئه، فإذا قيل: "ذاتِ حَمْلٍ"، ، لم يكن إلا لمن ظهر حملها وصلح للوضع كاملاً أو سِقْطًا، كما يقال: "ذات ولد[1]".

- قال تعالى: "نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ " [الواقعة: ٧٣].

قال ابن القيم : "تذكرة تُذْكَر بها الآخرة، ومنفعة للنازلين بالقَوَاءِ وهم المسافرون، يقال: أقوى الرجل إذا نزل بالقِيَ والقَوَى وهي الأرض الخالية، وخص المقوين بالذكر وإن كانت منفعتها عامة للمسافرين والمقيمين؛ تنبيهًا لعباده -والله أعلم بمراده من كلامه- على أنهم كلهم مسافرون، وأنهم في هذه الدار على جناح سفر، ليسوا هم مقيمين ولا مستوطنين[2]".

- قال تعالى: "فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ"[الكوثر: ٢].

قال السعدي: "خص هاتين العبادتين بالذكر؛ لأنهما من أفضل العبادات وأجل القربات؛ ولأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح

(١) بدائع الفوائد (٤/ ٢١-٢٢)

(٢) طريق الهجرتين (١/١٤١-١٤٢)

لله، وتنقلها في أنواع العبودية، وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج للمال الذي جُبِلَت النفوس على محبته والشح به[1]".

- قال تعالى: "وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ "[الفلق:٥].

قال ابن القيم: "العائن حاسد خاص، وهو أضر من الحاسد؛ ولهذا - والله أعلم- إنما جاء في السورة ذكر الحاسد دون العائن لأنه أعم، فكل عائن حاسد ولا بد، وليس كل حاسد عائنًا، فإذا استعاذ من شر الحسد دخل فيه العين، وهذا من شمول القرآن الكريم وإعجازه وبلاغته[2]".

الإطلاق والتقييد:

التطبيق:

- قال تعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ "[الفاتحة:٥].

قال ابن القيم: "وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تَعَبُّدٍ بعينه يُؤْثِره على غيره، بل غرضه تتبع مرضاة الله تعالى أين كانت. فمدار تعبده عليها، فهو لايزال مُتَنَقِّلاً في منازل العبودية، كلما رُفِعَت له مترلة عمل على سيره إليها، واشتغل بها حتى تلوح له مترلة أخرى، فهذا دأبه في السير حتى ينتهي سيره؛ فإن رأيت العلماء رأيته معهم، وإن رأيت العُبَّاد رأيته معهم، وإن رأيت المجاهدين رأيته معهم، وإن رأيت الذاكرين رأيته معهم، وإن رأيت المتصدقين المحسنين رأيته معهم ... فهذا هو العبد المطلق، الذي لم تملكه الرسوم، ولم تقيده القيود، ولم يكن عمله على مراد نفسه، ومافيه لذتها وراحتها من العبادات، بل هو على مراد ربه ولو كانت راحة نفسه ولذتها في

---

(١) تفسير السعدي (ص ٩٣٥)

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٢٣٣)

سواه. فهذا هو المُتحقِّق بإياك نعبد وإياك نستعين حقًا، القائم بهما صدقًا، مَلْبسه ماتهيأ، ومأكله ماتيسر، واشتغاله بما أمر الله به في كل وقت بوقته، ومجلسه حيث انتهى به المكان ووجده خاليًا، لاتملكه إشارة، ولايتعبده قيد، ولا يستولي عليه رسم، حُرٌّ مُجرد، دائر مع الأمر حيث دار، يدين بدين الآمر أنى توجهت ركائبه، ويدور معه حيث استقلت مضاربه، يأنس به كل مُحِقّ، ويستوحش منه كل مُبْطِل، كالغيث حيث وقع نفع، وكالنخلة لايسقط ورقها، وكلها منفعة حتى شوكها، وهو موضع الغلظة منه على المخالفين لأمر الله، والغضب إذا انتهكت محارم الله. فهو لله وبالله ومع الله، قد صحب الله بلا خلق، وصحب الناس بلا نفس. بل إذا كان مع الله عزل الخلائق عن البين وتخلى عنهم، وإذا كان مع خلقه عزل نفسه من الوسط وتخلى عنها، فواهًا له! ماأغربه بين الناس! وماأشد وحشته منهم! وماأعظم أُنسه بالله وفرحه به، وطمأنينته وسكونه إليه[1]".

- قال تعالى:" إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ " [الانفطار: ١٣-١٤].

قال ابن القيم : "لا تظن أن قوله تعالى: "إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ"، مُختَص بيوم المعاد فقط، بل هؤلاء في نَعِيم في دُورِهِمُ الثلاثة، وهؤلاء في جحيم في دُورِهِمُ الثلاثة، وأيُّ لذة ونعيم في الدنيا أَطْيَبُ من بِرِّ القلب، وسلامة الصَّدْرِ، ومعرفة الرَّب تبارك وتعالى ومحبَّته، والعمل على مُوافقته[2]".

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١١١)

(٢) الجواب الكافي (ص ١٢١)

ثالثًا: الحقيقة والمجاز[1] (عند القائل به).

التطبيق:

- قال تعالى: "صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ "[البقرة:١٣٨].

قال القرطبي: "فسُمِّيَ الدين صبغة استعارة ومجازًا، من حيث تظهر أعماله وسَمْته على المتدين، كما يظهر أثر الصبغ في الثوب[2]".

رابعًا: ما يتصل بمرجع الضمير.

التطبيق:

- قال تعالى:"فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ"[طه:١١٧].

"فإن قلت: لِمَ أسند الشقاء إلى آدم دون حواء؟

قلت: فيه وجهان: **أحدهما**: أن في ضمن شقاء الرجل شقاء أهله، كما أن في سعادته سعادتهم؛ لأنه القيم عليهم.

الثاني: إنه أُريد بالشقاء التعب في طلب القُوت، وذلك على الرجل دون المرأة؛ لأن الرجل هو الساعي على زوجته[3]".

خامسًا: ما يؤخذ من الإظهار في موضع الإضمار، وعكسه.

---

(١) الحقيقة عندهم: هي اللفظ المستعمل فيما وُضع له. والمجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له أولاً على وجه يصح. انظر: إرشاد الفحول (١/ ٦٢-٦٣)

(٢) أحكام القرآن (١٤٤/٢)

(٣) تفسير الخازن (٢٨٢/٤)

التطبيق :- قال تعالى:"وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ"[النساء: ٦٤].

"ولم يقل: (واستغفرت لهم)، وعدل عنه إلى طريقة الالتفات؛ تفخيمًا لشأن رسول الله ﷺ وتعظيمًا لاستغفاره[1]".

- قال تعالى: "فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ "[الكوثر: ٢].

قال ابن عاشور : "ولم يقل: فَصَلِّ لنا، لما في لفظ الرَّب من الإيماء إلى استحْقَاقِهِ العبادة لأجل ربوبيَّته فضلاً عن فَرْطِ إنْعامه[2]".

- قال تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ "[الأحزاب: ٥٠].

قال ابن الجوزي: "أي: وأحلّلْنا لك امرأة مؤمنة إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لك، "إِنْ أَرادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَها "أي: إن آثر نكاحها. "خالِصَةً لَكَ"، أي: خاصة[3].قال الزجّاج:وإنما قال:"إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ "ولم يقل: (لك)؛

---

(١) الكشاف (٥٢٨/١)

(٢) التحرير والتنوير (٥٧٤/٣٠)

(٣) زاد المسير (٤٧٤/٣)

لأنه لو قال: (لك)، جاز أن يُتوهَّم أن ذلك يجوز لغير رسول الله ﷺ كما جاز في بنات العمِّ وبنات العمَّات[1]".

سادسًا: الالتفات[2] بأنواعه.

التطبيق:

- قال تعالى: :"وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا"[النساء: ٦٤]."ولم يقل: (واستغفرت لهم)، وعدل عنه إلى طريقة الالتفات؛ تفخيمًا لشأن رسول الله ﷺ وتعظيمًا لاستغفاره[3]".

- قال تعالى: "فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ "[طه:١١٧].قال ابن القيم: "تأمل قوله تعالى: {فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى}كيف شَرَّك بينهما في الخروج وخص الذكر بالشقاء؛ لاشتغاله بالكسب والمعاش، والمرأة في خدرها[4]".

- قال تعالى: وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٢٣٢)

(٢) وهو:العدول عن الغَيبة إلى الخطاب أو التكلم،أوعلى العكس.انظرالتعريفات للجرجاني (ص ٣٥)

(٣) الكشاف (١/٥٢٨)، وقد سبق قريباً.

(٤) بدائع الفوائد (٣/٢٢٩)

﴿٦٣﴾ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا "[الإسراء: ٦١-٦٣].قال ابن القيم: "أعاد الضمير بلفظ الخطاب وإن كان جهة ه‍چ يقتضي الغيبة؛ لأنه اجتمع مُخاطَب وغائب، فغَلَّب المُخاطَب وجعل الغائب تبعًا له؛ كما كان تبعًا له في المعصية والعقوبة. فحسن أن يُجعل تبعًا له في اللفظ. وهذا من حُسن ارتباط اللفظ بالمعنى واتصاله به[1]".

سابعًا: الفروق اللفظية.

التطبيق:

- قال تعالى: "مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ "[البقرة:١٧].

قال ابن القيم: "تأمل كيف قال الله تعالى: "ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ" فوَحَّدَه، ثم قال: "وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ"، فجمعها، فإن الحق واحد، وهو صراط الله المستقيم، الذي لا صراط يُوصِل إليه سواه، وهو عبادة الله وحده لا شريك له بما شرعه على لسان رسوله ﷺ ، لا بالأهواء والبدع، وطرق الخارجين عما بعث الله به رسوله من الهدى ودين الحق، بخلاف طرق الباطل ، فإنها متعددة متشعبة.

ولهذا يفرد الله سبحانه وتعالى الحق ويجمع الباطل، كقوله تعالى: "ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ

(١) بدائع الفوائد (١٨٦/٤)

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" [البقرة:٢٥٧][1]".وقال في موضع آخر: "وتأمل قوله تعالى: بِنُورِهِم ، ولم يقل: (بنارهم) لتطابق أول الآية؛ فإن النار فيها إشراق وإحراق، فذهب بما فيها من الإشراق-وهوالنور- وأبقى عليهم مافيها من الإحراق، وهو النارية[2]".وقال في موضع آخر: "وتأمل كيف قال: "بِنُورِهِمْ" ولم يقل: (بضوئهم)، مع قوله:" فَلَمَّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ؛ لأن الضوء هو زيادة في النور، فلو قال: (ذهب الله بضوئهم)، لأوهم الذهاب بالزيادة فقط دون الأصل، فلما كان النور أصل الضوء كان الذهاب به ذهابًا بالشيء وزيادته[3]".

- قال تعالى:"أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ"[البقرة:١٩].

قال ابن جماعة في بيان وجه جمع الظلمات، وإفراد الرعد والبرق: "جوابه: أن المقتضي للرعد والبرق واحد وهو: السحاب، والمقتضي للظلمة متعدد وهو: الليل والسحاب والمطر؛ فجمع لذلك[4]".

- قال تعالى"فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ "[البقرة: ٧٩].قال الأصفهاني[5]: "إن قيل: لم ذكر "يَكْسِبُونَ" بلفظ المستقبل، وجچچ بلفظ الماضي؟ قيل: تنبيهًا على ما قال النبي ﷺ : «**من سنّ**

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٦٥-٦٦)

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٦٤)

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٦٥)

(٤) كشف المعاني في المتشابه من المثاني (ص ٩٠)

(٥) هو: الحسين بن محمد بن المُفضَّل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يُقْرَن بالغزالي. توفي سنة: ٥٠٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٢٠)، الأعلام للزركلي (٢/ ٢٥٥)

سُنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها، ومَن سنّ سُنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»[1]، فنبه بالآية أن ما أضلّوه وأثبتوه من التأويلات الفاسدة التي يعتمدها الجهلة هو اكتساب وزر يكتسبونه حالاً فحالاً.إن قيل: لم ذكر الكتابة دون القول؟ قيل: لّما كانت الكتابة متضمنة للقول وزائدة عليه، إذ هو كذب باللسان واليد، صار أبلغ؛ لأن كلام اليد يبقى رسمه والقول يضمحل أثره[2]".

- قال تعالى: "وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ "[البقرة:٨٧].

قال ابن القيم: "فَلَمَّا أَرَادَ اللهُ إِكْرَامَهُ بِالشَّهَادَةِ، ظَهَرَ تَأْثِيرُ ذَلِكَ الْأَثَرِ الْكَامِنِ مِنَ السُّمِّ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً، وَظَهَرَ سِرُّ قَوْلِهِ تَعَالَى لِأَعْدَائِهِ مِنَ الْيَهُودِ: {أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ}فَجَاءَ بِلَفْظِ كَذَّبْتُمْبِالْمَاضِي الَّذِي قَدْ وَقَعَ مِنْهُ وَتَحَقَّقَ، وَجَاءَ بِلَفْظِ" تَقْتُلُونَ "بِالْمُسْتَقْبَلِ الَّذِي يَتَوَقَّعُونَهُ وَيَنْتَظِرُونَهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ[3]".

- قال تعالى: قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ

---

(١) وأصله مخرج في صحيح مسلم (١٠١٧).

(٢) تفسير الراغب (١/ ٢٤١)

(٣) زاد المعاد (٤/١١٣)

ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ [البقرة:١٤٤].قال ابن عاشور: "قوله تعالى لنبيه ﷺ: "فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَا "، دُون تُحِبُّها أو تَهواها أو نَحوِها؛ فإنَّ مَقام النَّبي ﷺ يَربُو عن أن يَتعلقَ مَيلُه بما ليس بمصلَحةٍ رَاجِحةٍ بَعد انتهاءِ المَصلحةِ العارِضةِ لِمشرُوعِيَّةِ استِقبَالِ بَيتِ المَقدسِ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ فِي جَانبِ قِبلتهم بَعدَ أنْ نُسخَت جَاءَ بِقَولِهِ: "وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ"[البقرة : ١٢٠]، الآيةَ[١]".

- قال تعالى" ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ "[البقرة:١٤٦].

قال الأصفهاني: "إنما قال: "كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ" ولم يقل (أنفسهم)؛ لأن الإنسان لا يعرف نفسه إلا بعد انقضاء بُرهة من دهره، ويعرف ولده من حين وجوده، ثم في ذكر الابن ما ليس في ذكر النفس؛ فإن الإنسان[٢] عصارة ذاته ونسخة صورته[٣]".

- قال تعالى: "وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ[البقرة: ١٤٨].

"الأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات؛ فإن الاستباق إليها يتضمن فعلها، وتكميلها، وإيقاعها على أكمل الأحوال،

---

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٢٨)

(٢) هكذا في الأصل، ولعل العبارة: فإن الابن عصارةأو: فإن ابن الإنسان عصارة...

(٣) تفسير الراغب (١/ ٣٣٨)

والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات، فهو السابق في الآخـــرة إلى الجنات[1]".

-قال تعالى أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ [البقرة:١٥٧].قال الأصفهاني:إنما قال:"صَلَواتٌ "على الجمع، تنبيهًـــا علـــى كثرتها منه، وأنها حاصلة في الدنيا توفيقًا وإرشادًا، وفي الآخرة ثوابًا ومغفرة[2]

- قال تعالى: وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ "[البقرة: ٢٦٠].قال البغوي:"والْحكمة في الْمشي دون الطيرانِ كونُهُ أبعد من الشُّبهة؛ لأنها لَو طارت لتوهم مُتوَهِّم أنها غيرُ تلك الطير، وأنَّ أرجلَهَا غير سليمة. والله أعلم[3]".

- قال تعـــالى: "ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ "[البقرة: ٢٦٢].

قال ابن القيم: "ونبه بقوله: "ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنًّـــا وَلا أَذىً" على أن المنَّ والأذى ولو تراخى عن الصدقة وطال زمنه ضـــر بصـــاحبه ولم

(١) تفسير السعدي (ص ٧٢)

(٢) تفسير الراغب (١/٣٥٤)

(٣) تفسير البغوي (١/ ٣٢٤)

يحصل له مقصود الإنفاق، ولو أتى بالواو وقال: (ولا يتبعون ما أنفقوا منًّا ولا أذى)، لأوهمت تقييد ذلك بالحال، وإذا كان المن والأذى المتراخي مبطلاً لأثر الإنفاق مانعًا من الثواب، فالمقارن أولى وأحرى[1]".

- قال تعالى:" مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا "[النساء: ٨٥]. قال ابن القيم: "تأمل قوله تعالى في الشفاعة الحسنة: "يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا "وفي السيئة:"يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا" ، فإن لفظ (الكِفْل) يُشْعِر بالحِمْل والثقل، ولفظ (النصيب) يُشعر بالحظ الذي يَنْصَب طالبُه في تحصيله، وإن كان كل منهما يُستعمل في الأمرين عند الانفراد، ولكن لما قرن بينهما حسن اختصاص حظ الخير بالنصيب وحظ الشر بالكِفْل[2]".

- قال تعالى: "وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ "[الأعراف:٥٦].

قال ابن القيم : "وأما الإخبار عن الرحمة وهي مؤنثة بالتاء بقوله: چوچ وهو مذكر، ففيه اثنا عشر مسلكًا ... المسلك السادس: ... أن الرحمة صفة من صفات الرب تبارك وتعالى، والصفة قائمة بالموصوف لا تفارقه؛ لأن الصفة لا تفارق موصوفها، فإذا كانت قريبة من المحسنين فالموصوف تبارك وتعالى أولى بالقرب منه، بل قرب رحمته تبع لقربه هو تبارك وتعالى من المحسنين ... فالرب تبارك وتعالى قريب من المحسنين، ورحمته قريبة منهم،

---

(١) طريق الهجرتين (١/ ٣٦٦)

(٢) روضة المحبين (ص ٣٧٨)

وقربه يستلزم قرب رحمته، ففي حذف التاء هاهنا تنبيه على هـذه الفائـدة العظيمة الجليلة، وأن الله تعالى قريب من المحسنين، وذلك يستلزم القُربين: قربه وقرب رحمته. ولو قال: إن رحمة الله قريبة من المحسنين لم يدل على قربه تعـالى منهم؛ لأن قربه تعالى أخص من قرب رحمته ... فلا تستهن بهذا المسلك فإن لـه شأنًا، وهو متضمن لسر بديع من أسرار الكتاب ...[1]".

- قال تعالى: "وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ" [الأعراف: ١٥٤].قال ابن القيم: "فعدل سبحانه عن قوله (سكن) إلى قوله "سَكَتَ"؛ تنزيلاً للغضب منزلة السلطان الآمر الناهي، الذي يقول لصاحبه: افعل، لا تفعل. فهو مستجيب لداعي الغضب الناطق فيه، المتكلم على لسانه[2]".

- قال تعالى: "قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ "[التوبة:٥١].قال ابن هبيرة: "إنما لم يقل: مـا كتـب علينا؛ لأنه أمر يتعلق بالمؤمن، ولا يصيب المؤمن شيء إلا وهو له؛ إن كان خـيرًا فهو له في العاجل، وإن كان شرًا فهو ثواب له في الآجل[3]".

- قال تعالى:"هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ "[يونس: ٥].

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ١٨، ٣٠-٣١)

(٢) إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان (ص ٣٤)

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٢/١٤٢)

قال ابن رج "وأما الصبر فإنه ضِياء، والضِّياء: هو النور الذي يَحصُل فيه نوع حرارةٍ وإحراق كضياء الشمس، بخلاف القمر، فإنه نورٌ مَحضٌ، فيه إشراقٌ بغير إحراق، قال اللهُ عزَّ وجلَّ: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا} ، ومِن هُنا وَصفَ اللهُ شريعةَ مُوسَى بأنها ضياء، كما قال: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ} [الأنبياء: ٤٨]. وإن كان قد ذكر أنَّ في التَّوراة نُوراً كما قال: {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ} [المائدة: ٤٤]، ولكنَّ الغَالب على شريعتِهم الضياء لما فيها من الآصار والأغلال والأَثْقال. ووصَفَ شريعة محمدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلم بأنها نورٌ لما فيها منَ الْحَنِيفِيَّةِ السَّمحة، قال اللهُ تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ} [المائدة: ١٥]، وقال: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف: ١٥٧]، ولَّما كان الصَّبرُ شَاقًّا على النُّفوس، يحتاجُ إلى مُجاهدةِ النَّفسِ وحَبسِها وكفِّها عمَّا تَهواهُ، كان ضياءً[1]".

- قال تعالى: وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ [هود:١١٧].تأمل في الجملة الأخيرة وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ، ولم يقل: (صالحون)؛ لأن الصلاح الشخصي المتروي بعيدًا لا يأسى لضعف الإيمان، ولا يبالي بهزيمة الخير، فكن صالحًا مصلحًا، وراشدًا مرشدًا[2].

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/٢٤-٢٥)

(٢) ليدبروا آياته (١/١٠٩)

- قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: {شَاكِراً لأَنْعُمِهِ اجتبـاه وَهَـدَاهُ إلى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}[النحل:١٢١]، وقال: {أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ الله سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِـي السماوات وَمَا فِي الأرض وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} [لقمان:٢٠]، فجمع النعمة في آية النحل جمع قلة (أنعم)؛ لأن نعم الله لا تحصـى، وإنمـا يستطيع الإنسان معرفة بعضها وشكرها، وهو ما كان مـن إبـراهيم عليه السلام، فذكر جمع القلة في هذا المقام، أما آية لقمان فجمعها جمع كثرة (نِعَمَه)؛ لأنها في مقام تعداد نعمه وفضله على الناس جميعًا[1].

- في سورة الكهف قال الخضر: "في الأولى "فأردت"، وفي الثانيـة "فأردنا"، وفي الثالثة "فأراد ربك" فما وجه كل واحدة من هذه الألفاظ.

قلت: إنه لما ذكر العيب أضافه إلى نفسه على سبيل الأدب مـع الله تعالى، فقال: "فأردت أن أعيبها"، ولما ذكر رعاية المصالح في مـال اليتـيمين لأجل صلاح أبيهما أضافه إلى الله سبحانه وتعالى؛ لأن حفظ الأبناء وصلاح أحوالهم لرعاية حق الآباء ليس إلا لله سبحانه وتعالى؛ فلأجل ذلك أضافه إلى الله تعالى[2]".

- قال تعـالى: "فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا " [مريم: ٥٩].

فقوله:" وَٱتَّبَعُوا" قال السعدي: "بمعنى أرادوها وصارت هي همهم، وانقادوا لها وصاروا مطيعين لها، فلذلك قال: "وَٱتَّبَعُوا"ولم يقـل: (تنـاولوا

(١) أسرار البيان في التعبير القرآني (باب: البنية في التعبير القرآني)

(٢) تفسير الخازن (٢٢٨/٤)

وأكلوا) ونحو ذلك لهذا المعنى؛ لأن هذا الذم إنما يتناول متبعي الشهوات، فمهما اشتهت نفوسهم فعلوه على أنه المقصود المتبوع[1]".

- قال تعالى: "فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ "[الشعراء: ١٠٠-١٠١]."فإن قلت: لم جمع الشافع ووحد الصديق؟ قلت: لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق[2]".

- قال تعالى:" يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا " [الأحزاب: ٣٠-٣١].قال: "بيانًا لِزيادة ثوابهنَّ، كما بيَّن زيادةَ عقابهنَّ "نُؤْتِها أَجْرَها مَرَّتَيْنِ" في مُقابلة قوله تعالى:" يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ" مع لَطيفةٍ وهي أنَّ عند إيتاء الأجر ذَكَرَ المُؤْتِي وهو الله، وعندَ العذابِ لَم يُصرِّح بالمُعذِّب فقال: "يُضاعَف"إشارةً إلى كَمالِ الرَّحمة والكَرم، كما أنَّ الكَريمَ الحيَّ عند النَّفعِ يُظهِرُ نفسه وفِعْلَه، وعندَ الضُّرِّ لَا يَذكرُ نَفسَهُ[3]".

- قال تعالى: "مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ "[النجم:٢].قال ابن عطية: "والضلال أبدًا يكون من غير قصد من الإنسان إليه، والغي كأنه شيء يكتسبه الإنسان ويريده، نفى الله تعالى عن نبيه هذين الحالين، وغَوى الرجل يغوي: إذا سلك سبيل الفساد والعوج، ونفى الله تعالى عن نبيه أن يكون ضل

---

(١) المواهب الربانية (ص ٥٩)

(٢) الكشاف (٣/ ٣٢٢)

(٣) مفاتيح الغيب (١٦٦/٢٥)

في هذه السبيل التي أَسْلَكَه الله إياها وأثبت له تعالى في (الضحى) أنه قد كان قبل النبوءة ضالاً بالإضافة إلى حاله من الرشد بعدها[1]".

- قال تعالى:" وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ"[الواقعة:٢٠-٢١].

قال ابن عاشور: "وتقديم ذِكرِ الفاكهة على ذِكرِ اللحم قد يكون لأنَّ الْفواكه أَعزُّ. وبهذا يَظهرُ وجه المخالفة بين الفاكهة ولحم طير فَجُعل التَّخيُّرُ للأول. والاشتِهاءُ للثاني؛ ولأنَّ الاشتِهاء أعلَقُ بالطعام منه بِالْفواكه، فَلذة كَسر الشَّاهِيَةِ بالطعام لَذة زائدةٌ على لَذةِ حُسنِ طعمِهِ، وكَثرةُ التَّخيُّر للفاكهة هي لَذةُ تَلوينِ الأَصنافِ[2]".

- قال تعالى:" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ" [المنافقون:٩].

"ومعنى "لَا تُلۡهِكُمۡ "لا تَشْغلكم. وقد تقول: لماذا لم يقل: (لا تشغلكم)؟ والجواب: أنَّ من الشغل ما هو محمودٌ، فقد يكون شغلاً في حق، كما جاء في الحديث: «**إن في الصلاة لشُغلاً**»[3]، وكما قال تعالى: "إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ "[يس: ٥٥]، أما الإلهاء فمما لا خيرَ فيه، وهو مذمومٌ على وجه العموم، فاختار ما هو أحق بالنهي[4]".

- قال تعالى: "إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا " [الإنسان:٣].

---

(١) المحرر الوجيز (١٩٦/٥)

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/ ٢٩٥)

(٣) أخرجه البخاري (١٢١٦).

(٤) لمسات بيانية(١٧٨- ١٧٩)

قال الماوردي: "وَجمعَ بين الشَّاكر والكَفُور، ولم يَجمع بين الشَّكُورِ والكَفُور - مع اجتماعِهمَا في معنى المبالغةِ- نفيًا للمبالغة في الشُّكرِ وإثباتًا لها في الكُفرِ، لأنَّ شُكر الله تعالى لا يُؤَدَّى، فانتفت عنه المبالغة، ولم تَنتف عن الكُفر المبالغة، فَقَلَّ شُكره، لكثرة النِّعم عليه، وَكَثُرَ كُفرُهِ - وإن قَلَّ - مع الإحسَانِ إلَيهِ حكاه الماوردي[1]".

ثامنًا: دلالات الجملة (الاسمية والفعلية).

التطبيق:

- قال تعالى: "وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ" [البقرة: ٨٧].قال ابن كثير: "قال الزمخشري في قوله: {فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ}: إنما لم يقل: (وفريقًا قتلتم)؛ لأنه أراد بذلك وصفهم في المستقبل أيضًا؛ لأنهم حاولوا قتل النبي ﷺ بالسم والسحر، وقد قال ﷺ في مرض موته: «**مازالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان انقطاع أبهري**»[2]، وهذا الحديث في صحيح البخاري وغيره[3]".

- قال تعالى: "وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ " [الأنفال:٣٣].

---

(١) النكت والعيون للماوردي (١٦٤/٦)

(٢) أخرجه البخاري بنحوه في صحيحه (٤٤٢٨)

(٣) تفسير ابن كثير (٣٢٣/١)، مع مغايرة في عبارة الزمخشري في الكشاف (١/ ١٦٣)

"فقد جاء في صدر الآية بالفعل: لِيُعَذِّبَهُم، وجاء بعده بالاسم: مُعَذِّبَهُم، وذلك أنه جعل الاستغفار مانعًا ثابتًا من العذاب، بخلاف بقاء الرسول بينهم فإنه – أي العذاب – موقوت ببقائه بينهم. فذكر الحالة الثابتة بالصيغة الاسمية، والحالة الموقوتة بالصيغة الفعلية. وهو نظير قوله تعالى {وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي القرى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ} [القصص: ٥٩] فالظلم من الأسباب الثابتة في إهلاك الأمم، فجاء بالصيغة الاسمية للدلالة على الثبات. ثم انظر كيف جاءنا بالظلم بالصيغة الاسمية أيضًا دون الفعلية فقال: {وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ}، ولم يقل: (يظلمون) وذلك معناه أن الظلم كان وصفًا ثابتًا لهم، مستقرًا فيهم، غير طارئ عليهم، فاستحقوا الهلاك بهذا الوصف السيء.

فانظر كيف ذكر أنه يرفع العذاب عنهم باستغفارهم، ولو لم يكن وصفًا ثابتًا فيهم، وأنه لا يهلكهم إلا إذا كان الظلم وصفًا ثابتاً فيهم، فإنه جاء بالاستغفار بالصيغة الفعلية (يستغفرون)، وجاء بالظلم بالصيغة الاسمية (ظالمون). فانظر إلى رحمة الله سبحانه وتعالى بخلقه [1]".

– قال تعالى: "وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ"[هود: ٦٩].

قال ابن القيم:"أما السؤال العاشر:وهوالسر في نصب سلام ضيف إبراهيم الملائكة، ورفع سلامه. فالجواب: أنك قد عرفت قول النحاة فيه، أن سلام الملائكة تضمن جملة فعلية؛ لأن نصب السلام يدل على: (سَلَّمْنا عليك سلامًا)، وسلام إبراهيم تضمن جملة اسمية؛ لأن رفعه يدل على أن المعنى: (سلام عليكم).

(١) التعبير القرآني (ص٢٦)

والجملة الاسمية تدل على الثبوت والتقرر، والفعلية تدل على الحدوث والتجدد. فكان سلامه عليهم أكمل من سلامهم عليه، وكان له من مقامات الرد ما يليق بمنصبه ﷺ، وهو مقام الفضل،إذ حياهم بأحسن من تحيتهم.

هذا تقرير ما قالوه[إلى أن قال:] فحصل من الفرق بين الكلامين في حكاية سلام إبراهيم ورفعه ونصب ذلك إشارة إلى معنى لطيف جدًا، وهو أن قوله: (سلام عليكم) من دين الإسلام، المُتَلَقَّى عن إمام الحنفاء وأبي الأنبياء، وأنه من ملة إبراهيم التي أمر الله بها وباتباعها، فحكى لنا قوله؛ ليحصل الاقتداء به والاتباع له، ولم يحك قول أضيافه، وإنما أخبر به على الجملة دون التفصيل، والله أعلم[1]".

تاسعًا: ما يرجع إلى تصريف اللفظ.

التطبيق:

- قال تعالى:وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ [البقرة:٣٤].

قال ابن عاشور: "من لطائف اللغة العربية: أن مادة الاتصاف بالكبر لم تجيء منها إلا بصيغة (الاستفعال) أو (التفعل)؛ إشارة إلى أن صاحب صفة الكبر لا يكون إلا مُتَطَلِّبًا الكبر، أو مُتَكَلِّفًا له، وما هو بكبير حقًا[2]".

---

(١) بدائع الفوائد (٢/١٥٧-١٥٨)

(٢) التحرير والتنوير (١/٤٢٥)

عاشرًا:ما يرجع إلى معاني الحروف،ودلالاتها،والتضمين[1](تضمين الحرف معنى الحرف، وتضمين الفعل–أو ما في معناه–معنى فعل آخر–أو ما في معناه–).

التطبيق :

- قال تعالى:" ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ " [الفاتحة: ٦].

قال ابن القيم: "فعل الهداية متى عُدِّي بـ(إلى)، تضمن الإيصال إلى الغاية المطلوبة فأتى بحرف الغاية، ومتى عُدِّي بـ(اللام)، تضمن التخصيص بالشيء المطلوب، فأتى بـ(اللام) الدالة على الاختصاص والتعيين، فإذا قلت: هديته لكذا، فُهِمَ معنى: ذكرته له، وجعلته له، وهيأته، ونحو هذا، وإذا تعدى بنفسه، تضمن المعنى الجامع لذلك كله، وهو التعرف والبيان والإلهام. فالقائل إذا قال: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة: ٦]، هو طالب من الله أن يُعَرِّفَهُ إياه، ويبينه له، ويلهمه إياه، ويقدره عليه، فيجعل في قلبه علمه وإرادته والقدرة عليه، فجرد الفعل من الحرف، وأتى به مجردًا مُعدى بنفسه ليتضمن هذه المراتب كلها، ولوعُدِّي بحرف تعين معناه وتخصص بحسب معنى الحرف، فتأمله: فإنه من دقائق اللغة وأسرارها[2]".

---

(١) هو: إشراب اللفظ معنى لفظ آخر وإعطاؤه حكمه؛ لتصير الكلمة تُؤَدِّي مُؤَدَّى كلمتين.انظر:شرح الأشموني لألفية ابن مالك (١/٤٤٦) أو أن يُؤَدِّي فعل– أو ما في معناه–مُؤَدَّى فعل آخر–أو ما في معناه– فَيُعْطى حكمه في التعدية واللزوم. انظر النحو الوافي (٢/ ١٦٩-١٧٠). وهذا التعريف هو الذي ارتضاه المجمع اللغوي في القاهرة. وللتوسع: ينظر منه (٢/٥٦٤)

(٢) بدائع الفوائد (٢/٢٠-٢١)

- قال تعالى:يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ "[المائدة: ٦].

قال ابن تيمية : "فإذا قيل: فامْسحوا برءوسكم وبوجوهكم، ضُمِّنَ الْمسح معنى الإلصاق، فأفاد أَنَّكم تُلصِقُون برءوسكم وبوجوهكم شيئًا بهذا الْمسحِ. وهذا يُفيد في آية التيمم: أنَّه لا بد أن يَلتصقَ الصَّعيد بالوجه واليد؛ ولهذا قال: {فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ} [1]".

- قال تعالى:" إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ " [الأنبياء:٩٠].

"لم يقل: يسارعون إلى الخيرات؛ لأن عملهم الآن خير، وهم سيسارعون فيه؛ أي سيزيدونه؛ إذن: إنْ سارعتَ إلى شيء كأنه لم يكن في بالك، ولكنك ستسرع إليه، ولكن سارعتَ في الخير، فكأنك في الخير أولاً ثم تزيد في فعل الخير[2]".

- قال تعالى:وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ " [سبأ:٢٤].

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٢٧٧)، (٢١/ ١٢٤)

(٢) تفسير الشعراوي (٩/٥١٦٣)

قال الزركشي: "فاستُعمِلَت "عَلَى"في جانب الحـــقِّ، و وَ"فِـــي"في جانب الباطل؛ لأنَّ صاحبَ الحقِّ كأنَّه مُستَعْلٍ يَرقُبُ نَظَرُه كيف شاء، ظاهرَةٌ له الأشياء، وصاحبُ الباطلِ كأنَّه مُنغمِسٌ في ظلامٍ ولا يَدري أين تَوجَّه![1]"

ـــ قال تعالى "عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا " [الإنسان:٦].

قال ابن تيمية : "فإنَّه لو قيل : يَشرب منها لم تَدل على الرِّي فَضُمِّنَ يشرب معنى يَروى فقيل: (يشرب بها) فأفاد ذلك أنَّه شُربٌ يَحصلُ معهُ الرِّيُّ[2]" .

ـــ قوله تعـــالى:" إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ [الحج: ٢٥].قال ابن القيم: "فتأمل كيف عَدَّى فعل الإرادة هاهنا بالباء، ولا يُقال: أردت بكذا إلا لما ضُمِّن معنى فعل "هَمَّ" فإنه يقـــال: هممت بكذا، فتوعد مَن هَمَّ بأن يظلم فيه بأن يذيقه العذاب الأليم[3]".

الحادي عشر: التقدير والحذف والزيادة، والتكرار، والتقـــديم والتـــأخير والترتيب بين الأمور المذكورة في الآية.

(التقدير والحذف والزيادة):

التطبيق:

- قال تعـــالى: "وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ "[البقرة:٥١].

---

(١) البرهان(٤/١٧٥)

(٢) مجموع الفتاوى (٢١/ ١٢٣)

(٣) زاد المعاد (١/ ٥١- ٥٢)

قال الشنقيطي: "الآية ونحوها من جميع آيات اتخاذهم العجل إلهًا فإن المفعول الثاني محذوف في جميعها، وتقديره: اتخذتم العجل إلهًا. ونكتة حذفه دائمًا: التنبيه على أنه لاينبغي أن يُتلفظ بأن عجلاً مُصْطَنعًا إله، وقد أشار إلى هذا المفعول في طه بقوله"قَالُوا مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ [طه:٨٧- ٨٨][1]".

- قال تعالى: " فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ "[النساء:٥٩].

قال ابن القيم : "فتأمل كيف اقتضت إعادة هذا المعنى قَولَه تعالى: {فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} ولم يقل: (وإلى الرسول)؟ فإن الرد إلى القرآن رد إلى الله والرسول؟ فما حَكَم به الله تعالى هو بعينه حُكْم رسوله ﷺ ، وما يحكم به الرسول ﷺ هو بعينه حُكْم الله.فإذا رددتم إلى الله ماتنازعتم فيه يعني كتابه فقد رددتموه إلى رسوله. وكذلك إذا رددتموه إلى رسوله فقد رددتموه إلى الله، وهذا من أسرار القرآن[2]".

- قال تعالى:"ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ" [التوبة:١١٢].قال ابن القيم: في بيان وجه مجيء الواو بعد استيفاء الأوصاف السبعة المذكورة في الآية:

---

(١) انظر: العذب النمير (١/ ٩١- ٩٢) ، وانظر أيضًا: (٤/ ١٦٦- ١٦٧)

(٢) الرسالة التبوكية (ص٤١)

"وأحسن ما يقال فيها: إن الصفات إذا ذُكِرت في مقام التعداد، فتارة يتوسط بينها حرف العطف لتغايرها في نفسها، وللإيذان بأن المُراد ذِكْر كل صفة بمفردها، وتارة لا يتوسطها العاطف لاتحاد موصوفها وتلازمها في نفسها، وللإيذان بأنها في تلازمها كالصفة الواحدة. وتارة يتوسط العاطف بين بعضها ويُحذف مع بعض بحسب هذين المقامين، فإذا كان المقام مقام تعداد الصفات من غير نظر إلى جمع أو انفراد حسن إسقاط حرف العطف، وإن أُريد الجمع بين الصفات أوالتنبيه على تغايرها حسن إدخال حرف العطف.

فمثال الأول: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ} [التوبة:١١٢]، وقوله: {مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ} [التحريم:٥].ومثال الثاني: قوله تعالى: {هُوَ الأَوَّلُ وَالآخر وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} [الحديد:٣].وتأمل كيف اجتمع النوعان في قوله تعالى: {حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ} [غافر:١- ٣]، فأتى بالواو في الوصفين الأولين، وحذفها في الوصفين الآخرين؛ لأن غفران الذنب وقبول التوب قد يُظَن أنهما يجريان مجرى الوصف الواحد لتلازمهما، فمن غفر الذنب قَبِلَ التوب، فكان في عطف أحدهما على الآخر مايدل على أنهما صفتان وفعلان مُتغايران ومفهومان مختلفان لكل منهما حُكْمُه، أحدهما: يتعلق بالإساءة والإعراض، وهو المغفرة، والثاني: يتعلق بالإحسان والإقبال على الله تعالى والرجوع إليه، وهو التوبة، فتُقبل هذه الحسنة، وتُغفر تلك السيئة، وحَسَّن العطف ههنا هذا التغاير الظاهر.وكلما كان التغاير أبين كان العطف أحسن؛ ولهذا جاء العطف في قوله: {هُوَ الأَوَّلُ وَالآخر وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} [الحديد: ٣]، {الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ} وقوله: {الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ} [الحشر: ٢٤].وأما: {شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ} [غافر: ٣]، فَتُرِك العطف بينهما لِنُكته بديعة: وهي الدلالة على اجتماع هذين الأمرين في ذاته سبحانه، وأنه حال كونه شديد العقاب فهو ذو الطَّول، وطَولُه لا ينافي

شدة عقابه، بل هما مجتمعان له، بخلاف الأول والآخِر، فإن الأولية لا تُجامِع الآخِرية؛ ولهذا فَسَّرها النبي ﷺ بقوله: «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء»[1]. فأوَّليته أزليته، وآخريته أبديته.فإن قلت: فما تصنع بقوله: {وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} فإن ظهوره تعالى ثابت مع بُطُونه، فيجتمع في حقه الظهور والبطون، والنبي ﷺ فسر الظاهر: بأنه الذي ليس فوقه شيء، والباطن: بأنه الذي ليس دونه شيء، وهذا العلو والفوقية مُجامِع لهذا القرب والدنو والإحاطة؟ قلت: هذا سؤال حسن، والذي حَسَّن دخول الواو ههنا: أن هذه الصفات مُتقابلة مُتضادة، وقد عُطِف الثاني منها على الأول للمقابلة التي بينهما. والصفتان الأُخريان كالأُوليين في المُقابلة، ونسبة الباطن إلى الظاهر كنسبة الآخِر إلى الأول، فكما حَسُن العطف بين الأُوليين حَسُن بين الأُخريين.فإذا عُرِف هذا فالآية التي نحن فيها يتضح بما ذكرناه معنى العطف وتركه فيها؛ لأن كل صفة لم تُعطف على ما قبلها فيها كان فيه تنبيه على أنها في اجتماعها كالوصف الواحد لموصوف واحد فلم يحتج إلى عطف، فلما ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- وهما متلازمان مستمدان من مادة واحدة - حسن العطف ليتبين أن كل وصف منهما قائم على حِدَتِه، مطلوب تعيينه، لا يكتفي فيه بحصول الوصف الآخر، بل لا بد أن يظهر أمره بالمعروف بصريحه، ونهيه عن المنكر بصريحه. وأيضا فَحَسَّن العطف ههنا ما تقدم من التضاد، فلما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضدين، أحدهما طلب الإيجاد، والآخر طلب الإعدام، كانا كالنوعين المُتغايرين المُتضادين، فحسن لذلك العطف[2]".

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣)

(٢) بدائع الفوائد (٣/٥٢-٥٤)

ـ قال تعالى:" قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ" [طه:٨٤]. قال ابن هبيرة: "قرأ عَلَيَّ قارئ: " هُمْ أُولاءِ عَلَى أَثَرِي " [طه:٨٤]، [ففكرت في معنى إسقاط (ها)][1] فنظرت فإذا وضعها للتنبيه، [و]الله لا يجوز أن يُخاطَب بهذا، ولم أر أحدًا خاطب الله عز وجل بحرف التنبيه إلا الكفار، كما قال عز وجل:"قَالُوا:رَبَّنَا هَؤُلاءِ شُرَكَاؤُنَا الذين كنا ندعوا مِنْ دُونِكَ" [النحل:٨٦]،"رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا"[الأعراف:٣٨]،وما رأيت أحدًا من الأنبياء خاطب ربه بحرف التنبيه، والله أعلم.فأما قوله: "وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ" [الزخرف:٨٨]، فإنه قد تقدم الخطاب بقوله يارب، فبقيت "ها" للتمكين[2]".قال: "ولما خاطب الله عز وجل المنافقين قال: " ها أنتم هَؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا " [النساء:١٠٩]، وكرم المؤمنين بإسقاط "ها "، فقال: " ها أنتم أولائي تُحِبُّونَهُمْ " [آل عمران : ١١٩]، وكان التنبيه للمؤمنين أخف[3]".

(التكرار):

التطبيق:

- قال تعالى: "تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ"[البقرة:١٤١].قال السعدي:"كررها لقطع التعلق بالمخلوقين، وأن

(١) في الأصل: "فأفكرت في معنى اشتقاقها"، والمثبت أعلاه من ترجمة ابن هبيرة في مقدمة الإفصاح. وهو أوضح في المعنى.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٢/١٤٤)

(٣) المرجع السابق (٢/ ١٤٤)

المُعوَّل عليه ماتصف به الإنسان، لا عمل أسلافه وآبائه، فالنفع الحقيقي بالأعمال، لا بالانتساب المجرد للرجال[1]".

- قال تعالى: "وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ "[النحل:٣٠].قال ابن القيم: "فقد تكرَّر هذا المعنى في هذه السُّورة دون غيرها في أربعة مواضع لِسرٍّ بديع، فإنَّها سُورة النِّعم الَّتي عدَّد الله سُبحانه فيها أصول النِّعم وفروعها، فعَرَّف عِباده أنَّ لهم عنده في الآخرة من النِّعم أضعاف هذه بما لا يُدرك تفاوته، وأنَّ هذه منْ بَعض نِعمِه العاجلة عليهم، وَأنَّهم إنْ أطاعوه زادهم إلى هذه النِّعم نِعمًا أخرى، ثمَّ في الآخرة يُوفِّيهم أجور أعمالهم تمام التَّوفِيَة[2]".

(التقديم والتأخير والترتيب):

التطبيق:

- قال تعالى:" إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ "[الفاتحة: ٥-٦].قال ابن القيم:"وتقديم"العبادة"على"الاستعانة"في الفاتحة من باب تقديم الغايات على الوسائل، إذ "العبادة" غاية العباد الَّتي خُلِقُوا لها، و"الاستعانة" وسيلة إليها؛ ولأن «إياك نعبد»مُتَعَلِّق بألوهيته واسمه "الله"، «إياك نستعين»مُتَعَلِّق بربوبيَّته واسمه "الرب"، فَقَدَّم «إياك نعبد»، على «إياك نستعين»كما قَدم اسم "الله" على "الرب" في أول السورة؛ ولأن «إياك نعبد»قَسْمُ "الرب"، فكان من الشَّطْر الأول، الذي هو ثناء على الله

(١) تفسير السعدي (ص٧٠)

(٢) إعلام الموقعين (١٢٦/٢)

تعالى؛ لكونه أولى به، و«إياك نستعين»قَسْمُ العبد، فكان من الشَّطْر الذي له، وهو «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ»إلى آخر السورة[1]".

-قال تعالى: "وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ" [البقرة:٧٢].قال السعدي:"لعل من فوائد تأخير ذلك القتيل عن ذِكْر الأمر بذبح البقرة في قصة موسى مع بني إسرائيل؛ لأن السياق سياق ذم لبني إسرائيل وتعداد ماجرى لهم مما يُقَرِّر ذلك، فلو قدم ذكر القتيل على الأمر بذبح البقرة لصارت قصة واحدة[2]".

- قال تعالى: "جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ"[البقرة:١٢٥].قال ابن القيم: "فإنه ذكر أخص هذه الثلاثة وهو الطواف الذي لا يُشرع إلا بالبيت خاصة، ثم انتقل منه إلى الاعتكاف وهو القيام المذكور في الحج[3]، وهو أعم من الطواف؛ لأنه يكون في كل مسجد ويختص بالمساجد لا يتعداها، ثم ذكر الصلاة التي تعم سائر بقاع الأرض سوى ما مَنَع منه مانع أو اسْتُثْنِي شرعًا[4]" .

- قال تعالى:" إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

---

(١) مدارج السالكين (٩٧/١)

(٢) المواهب الربانية (ص ٢١)

(٣) [الحج: ٢٦].

(٤) بدائع الفوائد (٨١/١)

"[البقرة:١٧٣].قيل في سبب تقديم الغفور على الرحيم: أن المغفرة سلامة، والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة[١].

- قال تعالى:"وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ"[النساء:١٢] .قال السعدي: "وقدَّم الوصية مع أنها مُؤَخَّرة عن الدَّيْن للاهتمام بشأنها؛ لكون إخراجها شاقًّا على الورثة، وإلا فالديون مُقَدَّمة عليها، وتكون من رأس المال[٢]".

- قال تعالى:"فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ"[يونس:٨٥-٨٦].قال البيضاوي[٣]:في تقديم التوكل على الدعاء تنبيه أن الداعي ينبغي أن يتوكل أولاً لتُجاب دعوته[٤]".

---

(١) التعبير القرآني (ص ٣٣)

(٢) تفسير السعدي (ص ٦٦)

(٣) هو: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي: قاض، مفسر، علامة. وُلد في المدينة البيضاء (بفارس- قرب شيراز) وولي قضاء شيراز مدة،ثم صُرِف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها سنة: ٦٨٥هـ.طبقات الشافعية للسبكي٨/١٥٧الأعلام للزركلي (٤/ ١١٠ - ١١١)

(٤) تفسير البيضاوي (١٢٢/٣)

- قوله تعالى:"وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ" [النحل:١١٢].قال ابن عاشور: " وقَدَّم الأَمنَ على الطمأْنينة إذ لا تَحصل الطمأْنينة بدونه، كما أن الخوف يُسبّب الانزعاج والقلق[١]".

- قال تعالى: ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا" [الكهف:٤٦].

قال ابن عاشور: "تقديم المال على البنين في الذِّكْر؛ لأنه أسبق خُطُورًا لأذهان الناس؛ لأنه يرغَب فيه الصغير والكبير، والشاب والشيخ، ومن له من الأولاد ما قد كفاه[٢]".

- قال تعالى: وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا [الكهف: ٤٩].قال عون بن عبد الله[٣]: ضج-والله- القوم من الصغار قبل الكبار[٤].

---

(١) التحرير والتنوير (١٤/٣٠٥)

(٢) التحرير والتنوير (١٥/٣٣٣)

(٣) هو:عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي:خطيب، راوية، ناسب، شاعر. كان من آدب أهل المدينة. وسكن الكوفة فاشتهر فيها بالعبادة والقراءة. وكان يقول بالإرجاء، ثم رجع. وخرج مع ابن الأشعث ثم هرب. وصحب عمر بن عبد العزيز في خلافته. توفي سنة: ١١٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ١٠٣-١٠٥)، الأعلام للزركلي (٥/ ٩٨)

(٤) التمهيد (٢/٨٤)

- قال تعالى: "قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا"[الكهف٨٧-٨٨].قال ابن عثيمين: "تأمل في حالّ المشرك بدأ بتعذيبه ثم ثنّى بتعذيب الله، والمؤمن بدأ بثواب الله أولاً ثم بالمعاملة باليُسْر ثانيًا، والفرق ظاهر؛ لأن مقصود المؤمن الوصول إلى الجنة، والوصول إلى الجنة لا شك أنه أفضل وأحب إليه من أن يُقال له قول يُسر، وأما الكافر فعذاب الدنيا سابق على عذاب الآخرة وأيسر منه فبدأ به، وأيضًا فالكافر يخاف من عذاب الدنيا أكثر من عذاب الآخرة؛ لأنه لا يؤمن بالثاني[1]".

- قال تعالى:" وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ "[الحج:٢٧].قال ابن القيم: "أما تقديم الرجال على الرُّكْبان ففيه فائدة جليلة: وهي أن الله تعالى شرط في الحج الاستطاعة، ولا بد من السفر إليه لغالب الناس، فذكر نوعي الحجاج؛ لقطع تَوَهّم من يظن أنه لا يجب إلا على راكب، وقَدَّم الرجال اهتمامًا بهذا المعنى وتأكيدًا. ومن الناس من يقول: قَدَّمَهم جَبرًا لهم؛ لأن نفوس الرُّكْبان تزدريهم[2]".

- قال تعالى: وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ "[يس:٢٠].وفي الآية الأخرى: "وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ"[القصص:٢٠].

---

(١) تفسير سورة الكهف لابن عثيمين (ص ١٢٩)

(٢) بدائع الفوائد (٦٩/١)

قال ابن هبيرة: "فرأيتُ الفائدة في تقديم ذِكْر الرجل وتأخيره: أن ذِكْر الأوصاف قبل ذِكْر الموصوف أبلغ في المدح من تقديم ذِكْرِه على وَصْفِه، فإن الناس يقولون: الرئيس الأَجَلّ فلان، فنظرت فإذا الذي زِيْد في مدحه هو صاحب (يَس) أَمَر بالمعروف، وأعان الرسل، وصبر على القتل، والآخر إنما حَذَّر موسى من القتل، فَسَلِم موسى بقبوله مشورته، فالأول هو الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، والثاني هو ناصِحُ الآمِر بالمعروف، فاستحق الأول الزيادة.

ثم تأملتُ ذِكْر أقصى المدينة فإذا الرجلان جاءا من بُعد في الأمر بالمعروف، ولم يتقاعدا لِبُعْد الطريق[1]".

- قال تعالى: "لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ" [الشورى: ٤٩].

قال ابن القيم: "بدأ بذكر الإناث، فقدم ما كانت تُؤَخِّره الجاهلية من أمر البنات؛ حتى كانوا يَئِدُوهُن، أي: هذا النوع المُؤخَّر عندكم، مُقَدَّم عندي في الذِّكر، وتأمل كيف نَكَّر سبحانه الإناث، وعَرَّف الذكور؛ فَجَبَر نَقْصَ الأُنوثة بالتقديم، وجَبَر نَقْصَ التأخير بالتعريف؛ فإن التعريف تنويه[2]".

- قال تعالى: "نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ " [الواقعة:٧٣]. "قَدَّم كونها تذكرة على كونها متاعًا؛ ليعلم العبد أن الفائدة الأخروية أتم وبالذكر أهم[3]".

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ١٤٨-١٤٩)

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود (ص ٢٠- ٢١)

(٣) مفاتيح الغيب (٤٢٣/٢٩)

- قال تعالى:" يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ " [عبس: ٣٤، ٣٥].قال شيخ الإسلام: " لِمَ ابتَدأَ بالأَخ، ومن عادة العرب أَن يُبدأَ بالأَهم؟

فلمَّا سُئِلت عن هذا قُلت: إنَّ الابتداء يكون في كل مقَامٍ بما يُناسبه، فتارةً يَقتضي الابتداء بالأعلى، وتارةً بالأدنى. وهنا الْمناسبة تَقتضي الابتداء بالأَدنى؛ لأنَّ المقصود بيان فِراره عن أقاربه مُفصَّلاً شيئًا بعد شيءٍ، فلو ذَكرَ الأقرب أوَّلاً لم يكن في ذِكْرِ الأبعدِ فائدةٌ طائلةٌ، فإنَّه يعلَم أنَّه إذا فرَّ من الأقرَب فَرَّ من الأَبعد[1]".

الثاني عشر: الإيجاز والبسط والاستطراد.

التطبيق:

- قال تعالى: "وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ "[النجم:١٦،١٣].

قال ابن القيم: "ولما ذكر رؤيته لجبريل عند سدرة المنتهى استطرد منها، وذكر أن جنة المأوى عندها، وأنه يغشاها من أمره وخلقه ما يغشى، وهذا من أحسن الاستطراد، وهو أسلوب لطيف جدًا في القرآن، وهو نوعان:

أحدهما: أن يستطرد من الشيء إلى لازمه، مثل هذا، ومثل قوله {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} [الزخرف : ٩]، ثم استطرد من جوابهم إلى قوله: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٧٤)

فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ*وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ*لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ} [الزخرف:١٠، ١٣]، وهذا ليس من جوابهم ولكن تقرير له وإقامة الحجة عليهم.ومثله قوله تعالى: {قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى*قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى*قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى*قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى} [طه: ٤٩، ٥٢]، فهذا جواب موسى، ثم استطرد سبحانه منه إلى قوله: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى*كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى*مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى}[طه:٥٣،٥٥]، ثم عاد إلى الكلام الذي استطرد منه.والنوع الثاني: أن يستطرد من الشخص إلى النوع، كقوله: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ*ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ} [المؤمنون:١٢- ١٣]، إلى آخره.

فالأول: آدم، والثاني: بنوه. ومثله قوله: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ* فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الأعراف: ١٨٩- ١٩٠].

إلى آخر الآيات. فاستطرد من ذِكْر الأبوين إلى ذِكْر المشركين من أولادهما. والله أعلم[1]".

الثالث عشر: الأمثال والتشبيهات.

التطبيق:

(١) التبيان في أقسام القرآن (١/٢٦٢- ٢٦٤)

- قال تعالى: ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً "[البقرة:٧٤].قال السعدي:"وصف قسوتها بأنها ج ں ج التي هي أشد قسوة من الحديد؛ لأن الحديد والرصاص إذا أُذيب في النار ذاب، بخلاف الأحجار[١]".

- قال تعالى:" وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا" [الإنسان:١٩].قال الثعالبي[٢]: "قال بعضهم: هذا من التشبيه العجيب؛ لأن اللؤلؤ إذا كان متفرقًا كان أحسن في المنظر لوقوع شعاع بعضه على بعض[٣]".

الرابع عشر: المتشابه اللفظي[٤].

التطبيق:

- قال تعالى: "ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" [البقرة:٢٦٢].

وقوله تعالى: "ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ "[البقرة: ٢٧٤].

---

(١) تفسير السعدي (ص ٥٥)

(٢) هو: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري،أبو زيد:مفسر،من أعيان الجزائر،زار تونس والمشرق.توفي سنة:٨٧٥هـ.انظر:الضوء اللامع (١٥٢/٤)، والأعلام للزركلي (٣٣١/٣)

(٣) تفسير الثعالبي (٥٣٢/٥)

(٤)انظر الإتقان في علوم القرآن (٣٩٠/٣)

قال ابن القيم:" تأمل كيف جرد الخبر هنا عن الفاءِ فقال: "لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ" [البقرة:٢٦٢]، وقرنه بالفاءِ في قوله تعالى: "الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ "[البقرة:٢٧٤]، فإن الفاءَ الداخلة على خبر المبتدأ الموصول أو الموصوف تُفْهِم معنى الشرط والجزاءِ، وأن الخبر مُسْتَحَقّ بما تضمنه المبتدأُ من الصلة أو الصفة، فلما كان هنا يقتضي بيان حصر المُسْتَحِق للجزاءِ دون غيره جرد الخبر عن الفاءِ، فإن المعنى: أن الذي ينفق ماله لله ولا يمن ولا يؤذي، هو الذي يستحق الأجر المذكور، لا الذي ينفق لغير الله ويمن ويؤذي بنفقته، فليس المقام مقام شرط وجزاءٍ بل مقام بيان للمُسْتَحِق من غيره، وفي الآية الأخرى للمستحق دون غيره.

وفي الآية الأخرى ذَكَر الإنفاق بالليل والنهار سراً وعلانية، فذَكَر عموم الأوقات وعموم الأحوال، فأتى بالفاءِ في الخبر ليدل على أن الإنفاق في أي وقت وُجِد من ليل أو نهار، وعلى أية حالة وُجِد من سر وعلانية فإنه سبب للجزاء على كل حال، فليبادر إليه العبد ولا ينتظر به غير وقته وحاله، ولا يُؤخِّر نفقة الليل إذا حضر إلى النهار، ولا نفقة النهار إلى الليل، ولا ينتظر بنفقة العلانية وقت السر، ولا بنفقة السر وقت العلانية، فإن نفقته في أي وقت وعلى أي حال وُجِدَت سبب لأجره وثوابه، فتدبر هذه الأسرار في القرآن فلعلك لا تظفر بها تمر بك في التفاسير، والمنة والفضل لله وحده لا شريك له[1]".

- قال تعالى: "وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ" [الأنعام:١٥١].

(١) طريق الهجرتين (ص ٣٦٦)

- قال ابن كثير : " أي: ولا تَقتلوهم من فَقْرِكُمُ الحاصل. وقال في سورة "سُبْحَانَ ": {وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ} [الإسراء: ٣١]، أي: خشية حصول فَقْرٍ، في الآجل؛ ولهذا قال هُناك: {نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ} فبدأ برزقهم لِلاهتمام بهم، أي: لا تَخافُوا من فَقْرِكُمْ بِسببهم، فَرِزْقُهُم على الله[1]".

ـ قال تعالى"إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ" [غافر: ٥٦].

- قال ابن القيم: "وتأمل حكمة القرآن الكريم كيف جاء في الاستعاذة من الشيطان الذي نعلم وجوده ولا نراه بلفظ السميع العليم في الأعراف والسجدة [فُصِّلَت] "وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " [الأعراف: ٢٠٠]، "وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ "[فصلت: ٣٦] وجاءت الاستعاذة من شر الإنس الذين يُؤنَسُون ويُرون بالأبصار بلفظ السميع البصيرفي سورة حم المؤمن، فقال: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [غافر: ٥٦]، لأن أفعال هؤلاء أفعال مُعَايَنة تُرى بالبصر، وأما نزغ الشيطان فوساوس وخطرات يلقيها في القلب يتعلق بها العلم؛ فأمر بالاستعاذة بالسميع

(١) تفسير ابن كثير (٣/٣٦٢)

العليم فيها، وأمر بالاستعاذة بالسميع البصير في باب ما يُرى بالبصر ويُـدرك بالرؤية والله أعلم[1]".

- قال تعالى"قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ "[الأنبياء: ٦٨ – ٧٠].

وقال تعالى: "قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ "[٩٧ – ٩٨].

- قال الإسكافي[2]: "للسائل أن يسأل فيقول: هذا في قصة واحـدة، فجاء في موضع: (الأخسرين) [الأنبيـاء:٧٠]، وفي موضـع (الأسـفلين) [الصافات:٩٨]، فهل في كلٍ من المكانين ما يختص باللفظ الذي خصّ به؟.

والجواب أن يقال: أمّا في سورة الأنبياء فإن الله تعالى أخبر فيهـا عـن إبراهيم عليه السلام أنه قال (وتالله لأكيدنّ أصنامكم..) [الأنبياء:٧٥]، ثم أخبر عن الكفار لمّا ألقوه في النـار وأرادوا بـه كيـدًا: (فجعلنـاهم الأخسـرين) [الأنبياء:٧٠]، والكيد: سعي في مضرة لِتُوْرَد على غفلة، فذكر مُكَايَدَة بينهم وبين إبراهيم عليه السلام، فكادهم ولم يكيدوه فخسرت تجهارتهم وعادت علـيهم مُكَايَدَتُهم، لأنه كسّر أصنامهم ولم يبلغوا مـن إحراقـه مـرادهم، فـذكر

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٣٨-٢٣٩)

(٢) هو: محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله: عالم بالأدب واللغة، من أهل أصبهان. كان إسكافا – يُقال للخرّاز أو الصانع – ثم خطيباً بـالريّ. تـوفي سـنة: ٤٢٠هـ. انظر: الوافي بالوفيات (٣/ ٢٧١)، والأعلام للزركلي (٦/ ٢٢٧-٢٢٨)

الأخسرين لأنهم خسروا فيما عاملهم به وعاملوه من المكايدة التي أُضيفت إليهما. وأما الآية التي في سورة الصافات فإن الله تعالى أخبر عن الكفار فيها بما اقتضى من الأسفلين، وهو أنه قال: (قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم) ، فبنوا له بناء عاليا ورفعوه فوقه ليرموا به من هناك إلى النار التي أجّجوها، فلما علوا ذلك البناءَ وحطّوه منه إلى أسفل، عادوا هم الأسفلين، لأنهم أُهلِكُوا في الدنيا وسَفُل أمرهم في الأخرى، والله تعالى نجّى نبيّه - عليه السلام - وأعلاه عليهم، فانقلب عاليّ أمرهم في صعود البناء وسافل أمر إبراهيم عليه السلام. فلمّا حُطّ إلى النار صار ذلك سافلا، وأمر النبي عليه السلام عاليًا، فلذلك اختصت هذه الآية بقوله: (فجعلناهم الأسفلين) [1]".

- قال تعالى: "وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ " [القصص:٥٥].

وقال: "وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا "[الفرقان:٦٣].

قال ابن القيم: "وكان رَفْع السلام مُتعينًا؛ لأنه حكاية ما قد وقع، ونَصْب السلام في آية الفرقان مُتعينًا؛ لأنه تعليم وإرشاد لما هو الأكمل والأولى للمؤمن أن يعتمده إذا خاطبه الجاهل [2]".

- قال تعالى"قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ " [سبأ: ٢٤].

---

(١) درة التنزيل (١/ ٩٠٥- ٩٠٦).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ١٦٠)

وقال: "قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ "[يونس: ٣١].

قال ابن القيم: "هل يظهر فرق بين قوله تعالى في سورة يونس: قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ [يونس:٣١]، وبين قوله في سورة سبأ: { قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ }[سبأ:٢٤]؟

قيل: هذا من أدق هذه المواضع وأغمضها وألطفها فرقًا، فتدبر السياق تجده نقيضًا لما وقع، فإن الآيات التي في يونس سيقت مساق الاحتجاج عليهم بما أقروا به و لم يمكنهم إنكاره، من كون الرب تعالى هو رازقهم ومالك أسماعهم وأبصارهم ومدبر أمورهم وغيرها، ومخرج الحي من الميت والميت من الحي. فلما كانوا مقرين بهذا كله، حسن الاحتجاج به عليهم، أن فاعل هذا هو الله الذي لا إله غيره، فكيف يعبدون معه غيره ويجعلون له شركاء لا يملكون شيئًا من هذا ولا يستطيعون فعل شيء منه؟! ولهذا قال بعد أن ذكر ذلك من شأنه تعالى: {فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ} أي: لا بد أنهم يقرون بذلك ولا يجحدونه، فلا بد أن يكون المذكور مما يقرون به، والمخاطبون المُحْتَج عليهم بهذه الآية إنما كانوا مُقِرِّين بنزول الرزق من قِبَل هذه السماء التي يشاهدونها بالحس، و لم يكونوا مُقِرِّين ولا عالمين بنزول الرزق من سماء إلى سماء حتى تنتهي إليهم، و لم يصل علمهم إلى هذا، فأُفردت لفظ السماء هنا، فإنه لا يمكنهم إنكار مجيء الرزق منها، لا سيما والرزق هاهنا إن كان هو المطر فمجيئه من السماء التي هي السحاب، فإنه يسمى سماء لعلوه، وقد أخبر سبحانه أنه بسط السحاب في السماء بقوله: {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَيَبْسُطُهُ فِي

السَّماءِ كَيْفَ يَشاءُ}[الروم: ٤٨]، والسحاب إنما هو مبسوط في جهة العلو لا في نفس الفلك، وهذا معلوم بالحس فلا يُلتفت إلى غيره.

فلما انتظم هذا بذكر الاحتجاج عليهم، لم يصلح فيه إلا إفراد السماء؛ لأنهم لا يقرون بما يترل من فوق ذلك من الأرزاق العظيمة للقلوب والأرواح، ولا بد من الوحي الذي به الحياة الحقيقية الأبدية، وهو أولى باسم الرزق من المطر الذي به الحياة الفانية المنقضية، فما يترل من فوق ذلك من الوحي والرحمة والألطاف والموارد الربانية والتترلات الإلهية وما به قوام العالم العلوي والسفلي من أعظم أنواع الرزق، ولكن القوم لم يكونوا مُقرين به، فخُوطِبوا بما هو أقرب الأشياء إليهم بحيث لا يمكنهم إنكاره.

وأما الآية التي في سورة سبأ، فلم ينتظم بها ذِكْر إقرارهم بما يترل من السماوات؛ ولهذا أمر رسوله بأن يتولى الجواب فيها، ولم يذكر عنهم أنهم المُجيبون المُقرون، فقال:{ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ}، ولم يقل: فسيقولون الله، فأمر تعالى نبيه ﷺ أن يجيب بأن ذلك هو الله وحده الذي يترل رزقه على اختلاف أنواعه ومنافعه من السماوات السبع. وأما الأرض فلم يَدْعُ السياق إلى جمعها في واحدة من الاثنين؛ إذ يُقر به كل أحد مؤمن وكافر وبر وفاجر[1]".

- قال تعالى: وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ

(١) المرجع السابق (١/ ١١٧-١١٨)

فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ [فصلت:٣٤ -٣٦]، وقال في الأعراف: "خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" [الأعراف:١٩٩- ٢٠٠].

- قال ابن القيم: "وتأمل سر القرآن الكريم كيف أكد الوصف بالسميع العليم بذكر صيغة «هو» الدال على تأكيد النسبة واختصاصها، وعَرَّف الوصف بالألف واللام في سورة حٰمٓ لاقتضاء المقام لهذا التأكيد، وتركه في سورة الأعراف لاستغناء المقام عنه؛ فإن الأمر بالاستعاذة في سورة حٰمٓ وقع بعد الأمر بأشق الأشياء على النفس وهو مقابلة إساءة المسيء بالإحسان إليه، وهذا أمر لا يقدر عليه إلا الصابرون، ولا يلقاه إلا ذو حظ عظيم كما قال الله تعالى.

والشيطان لا يدع العبد يفعل هذا، بل يريه أن هذا ذُل وعجز، ويُسلط عليه عدوه فيدعوه إلى الانتقام ويزينه له، فإن عجز عنه دعاه إلى الإعراض عنه، وأن لا يسيء إليه ولا يحسن، فلا يُؤْثِر الإحسانَ إلى المسيء إلا من خالفه وآثر الله تعالى وما عنده على حَظِّه العاجل.

فكان المقام مقام تأكيد وتحريض، فقال فيه: "وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ. إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ."[فصلت: ٣٦]، وأما في سورة الأعراف فإنه أمره أن يُعرِض عن الجاهلين، وليس فيها الأمر بمقابلة إساءتهم بالإحسان، بل بالإعراض، وهذا سهل على النفوس غير مُسْتَعْص عليها، فليس حرص الشيطان وسعيه في دفع هذا كحرصه على دفع المُقابَلة

بالإحسان، فقال: "وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ. إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" [الاعراف: ١٩٩].[1]".

- قال تعالى: "وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ" [الذاريات:١٩]. وفي سورة المعارج: "وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ "[المعارج: ٢٤- ٢٥].قال الغرناطي: " يُسأل عن وجه زيادة الصفة في سورة المعارج من قوله: "مَعْلُومٌ" وسقوط ذلك في الذاريات؟ وهل كان يناسب عكس الوارد؟والجواب، والله أعلم: أن آية المعارج قد تقدمها متصلاً بها قوله تعالى: (إِلَّا الْمُصَلِّينَ) [المعارج: ٢٢]، والمراد بالصلاة هنا المكتوبة، وأيضًا يُقْرَن بها في آي الكتاب الزكاة المفروضة، وبها فَسَّر المفسرون الحق المعلوم في آية المعارج.قال الزمخشري: لأنها مُقَدَّرة معلومة.

قلت: وليس في المال حق مقدر معلوم وقتًا ونصابًا ووجوبًا غيرها، فلما أُرِيد بالحق هنا الزكاة أُتبع بوصف يحرز المقصود[2]".

- قال تعالى: "لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ " [الواقعة: ٦٥]. وقوله سبحانه:" لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ" [الواقعة: ٧٠].

قال ابن هبيرة: "تأملت دخول اللام وخروجها، فرأيت المعنى: أن اللام تقع للاستقبال، تقول: لأضربنك، أي فيما بعد، لا في الحال. والمعنى: (أفرأيتم ما تحرثون (٦٣) أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون (٦٤) لو نشاء لجعلناه حطاما) [الواقعة: ٦٣-٧٠]، أي: في مستقبل الزمان إذا تم فاستحصد، وذلك أشد

(١) بدائع الفوائد (٢/٢٦٧ - ٢٦٨)

(٢) ملاك التأويل (٢/٤٥٠)

العذاب؛ لأنها حالة انتهاء تعب الزراع واجتماع الدَّيْن عليه؛ لرجاء القضاء بعد الحصاد، مع فراغ البيوت من الأقوات.

وأما في الماء فقال: (لو نشاء جعلناه أجاجا) [الواقعة: ٧٠]، أي: الآن؛ لأنا لو أَخَّرنا ذلك لشرب العطشان وادخر الإنسان[1]".

- قال تعالى"فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ" [المعارج: ٤٠ – ٤١].

وقال تعالى: "رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ "[الرحمن: ١٧].

وقال تعالىقَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآ "[الشعراء:٢٨].

وقال تعالى:" رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ "[المزمل: ٩].

قال ابن القيم: "أقسم سبحانه برب المشارق والمغارب، وهي إما مشارق النجوم ومغاربها، أو مشارق الشمس ومغاربها، وأن كل موضع من الجهة مشرق ومغرب، فكذلك جَمَع في موضع، وأفرد في موضع، وثنَّى في موضع آخر، فقال: {رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ} [الرحمن: ١٧].

فقيل: هما مشرقا الصيف والشتاء. وجاء في كل موضع ما يناسبه، فجاء في سورة الرحمن: {رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ} ؛ لأنها سورة ذُكِرَت فيها المُزدَوَجَات، فذكر فيها الخلق والتعليم، والشمس والقمر، والنجوم والشجر، والسماء والأرض، والحب والثمر، والجن والإنس، ومادة أبي البشر وأبي الجن، والبحرين، والجنة والنار، وقسم الجنة إلى جنتين عاليتين

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/١٥٠-١٥١)

وجنتين دونهما، وأخبر أن في كل جنة عينين، فناسب كل المناسبة أن يذكر المشرقين والمغربين.

وأما سورة {سَأَلَ سَائِلٌ} ، فإنه أقسم سبحانه على عموم قدرته وكمالها وصحة تعلقها بإعادتهم بعد العدم، فذكر المشارق والمغارب بلفظ الجمع؛ إذ هو أدل على المُقْسَم عليه، سواء أُريد مشارق النجوم ومغاربها، أو مشارق الشمس ومغاربها، أو كل جزء من جهتي المشرق والمغرب، فكل ذلك آية ودلالة على قدرته تعالى على أن يبدل أمثال هؤلاء المكذبين وينشئهم فيما لا يعلمون، فيأتي بهم في نشأة أخرى كما يأتي بالشمس كل يوم من مطلع ويذهب بها في مغرب.

وأما في سورة المزمل، فذكر المشرق والمغرب بلفظ الإفراد؛ لما كان المقصود ذكر ربوبيته ووحدانيته، وكما أنه تفرد بربوبية المشرق والمغرب وحده، فكذلك يحب أن يتفرد بالربوبية والتوكل عليه وحده، فليس للمشرق والمغرب رب سواه، فكذلك ينبغي أن لا يُتَّخَذ إله ولا وكيل سواه.

وكذلك قال موسى لفرعون حين سأله: {وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: ٢٣]، فقال: {قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ} [الشعراء: ٢٨]، وفي ربوبيته سبحانه للمشارق والمغارب تنبيه على ربوبيته السماوات وما حوته من الشمس والقمر والنجوم، وربوبيته ما بين الجهتين، وربوبيته الليل والنهار وما تضمناه..." ا.ه. [1]

وقال في موضع آخر: "مجيء المشرق والمغرب في القرآن تارة مجموعين، وتارة مثنيين، وتارة مفردين؛ لاختصاص كل محل بما يقتضيه من

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص ١٩٤- ١٩٦)

ذلك. فالأول كقوله: {فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ} [المعارج: ٤٠]، والثاني كقوله: {رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن: ١٧-١٨]، والثالث كقوله: {رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً} [المزمل: ٩].

فتأمل هذه الحكمة البالغة في تغاير هذه المواضع في الإفراد والجمع والتثنية بحسب موادها، يُطْلِعك على عظمة القرآن الكريم وجلالته، وأنه تنزيل من حكيم حميد.

فحيث جُمِعَت، كان المراد بها مشارق الشمس ومغاربها في أيام السنة، وهي متعددة.

وحيث أُفردت كان المراد أُفُقَي المشرق والمغرب.

وحيث ثُنّيا كان المراد مشرقي صعودها وهبوطها ومغربيهما، فإنها تبتدئ صاعدة حتى تنتهي إلى غاية أَوْجِها وارتفاعها، فهذا مشرق صعودها، وينشأ منه فصلا الخريف والشتاء. فجعل مشرق صعودها بجملته مشرقًا واحدًا، ومشرق هبوطها بجملته مشرقًا واحدًا، ويقابلها مغرباها، فهذا وجه اختلاف هذه في الإفراد والتثنية والجمع.

وأما وجه اختصاص كل موضع بما وقع فيه، فلم أر أحدًا تعرض له ولا فتح بابه، وهو بحمد الله بين من السياق، فتأمل وروده مثنى في سورة الرحمن؛ لما كان مساق السورة مساق المثاني المزدوجات، فذكر أولاً نوعي الإيجاد، وهما الخلق والتعليم، ثم ذكر سِرَاجَي العالم ومَظْهَري نوره، وهما الشمس والقمر، ثم ذكر نوعي النبات، ما قام منه على ساق وما انبسط منه على وجه الأرض، وهما النجم والشجر، ثم ذكر نوعي السماء المرفوعة والأرض الموضوعة، وأخبر أنه رفع هذه ووضع هذه ووسَّطَ بينهما ذِكْر

الميزان، ثم ذكر العدل والظلم في الميزان، فأمر بالعدل ونهى عن الظلم، ثم ذكر نوعي الخارج من الأرض وهما الحبوب والثمار، ثم ذكر خَلْق نوعي المكلفين وهما نوع الإنسان ونوع الجان، ثم ذكر نوعي المشرقين ونوعي المغربين، ثم ذكر بعد ذلك البحرين الملح والعذب.

فتأمل حُسْن تثنية المشرق والمغرب في هذه السورة وجلالة ورودهما لذلك، وقدِّر موضعهما اللفظ مفردًا ومجموعًا، تجد السمع ينبو عنه، ويشهد العقل بمنافرته للنظم.

ثم تأمل ورودهما مُفْرَدين في سورة المزمل؛ لمَّا تقدمهما ذِكْر الليل والنهار، فأَمَر رسولَه ﷺ بقيام الليل، ثم أخبره أن له في النهار سبحًا طويلاً، فلما تقدم ذِكْر الليل وما أُمِر به فيه، وذكر النهار وما يكون منه فيه، عَقَّب ذلك بذكر المشرق والمغرب اللذين هما مَظْهَر الليل والنهار، فكان ورودهما مُفَردين في هذا السياق أحسن من التثنية والجمع؛ لأن ظهور الليل والنهار هما واحد، فالنهار أبدًا يظهر من المشرق، والليل أبدًا يظهر من المغرب.

ثم تأمل مجيئهما مجموعين في سورة المعارج في قوله: {فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ} [المعارج: ٤٠-٤١]، لما كان هذا القَسَم في سياق سعة ربوبيته وإحاطة قدرته، والمُقسَم عليه أرباب هؤلاء، والإتيان بخير منهم ذَكَر المشارق والمغارب لتَضَمِّنهما انتقال الشمس التي هي أحد آياته العظيمة الكبيرة ونقله سبحانه لها وتصريفها كل يوم في مشرق ومغرب، فمن فعل هذا كيف يُعجِزه أن يُبدِّل هؤلاء وينقل إلى أمكنتهم خيرًا منهم، وأيضًا فإن تأثير مشارق الشمس ومغاربها في اختلاف أحوال النبات والحيوان أمر مشهور، وقد جعل الله تعالى ذلك بحكمته سببًا لتبدل أجسام النبات وأحوال الحيوانات

وانتقالها من حال إلى غيره، ويبدل الحر بالبرد والبرد بالحر، والصيف بالشتاء والشتاء بالصيف، إلى سائر تَبَدُّل أحوال الحيوان والنبات والرياح والأمطار والثلوج وغير ذلك من التَّبَدُّلات والتَّغيرات الواقعة في العالم بسبب اختلاف مشارق الشمس ومغاربها، كان ذلك تقدير العزيز العليم، فكيف لا يقدر مع ما يشهدونه من ذلك على أن يُبدِّل خيرًا منهم، وأكد هذا المعنى بقوله: وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ، فلا يليق بهذا الموضع سوى لفظة الجمع.ثم تأمل كيف جاءت أيضًا في سورة الصافات مجموعة في قوله: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ} [الصافات:٥]، لما جاءت مع جملة المربوبات المتعددة وهي السماوات والأرض وما بينهما، كان الأحسن مجيئها مجموعة؛ لينتظم مع ما تقدم من الجمع والتعدد.ثم تأمل كيف اقتصر على المشارق دون المغارب؛ لاقتضاء الحال لذلك، فإن المشارق مظهر الأنوار وأسباب انتشار الحيوان وحياته وتصرفه ومعاشه وانبساطه، فهو إنشاء مشهود، فقدمه بين يدي الرد على منكري البعث، ثم ذكر تعجُّب بنيه من تكذيبهم واستبعادهم البعث بعد الموت، ثم قدر الموت وحالهم فيه، وكان الاقتصار على ذكر المشارق هاهنا في غاية المناسبة للغرض المطلوب والله أعلم[1]".

- قال تعالى ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ ﴾ [المجادلة:٤]، وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [المجادلة:٥].

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٢١-١٢٣)

قال الإسكافي:"للسائل أن يسأل عن خاتمتي الآيتين،وهما:(عَذَابٌ أَلِيمٌ) و(عَذَابٌ مُهِينٌ) وعما أوجب اختصاص كل واحدة منهما. بما ذُكِر فيها؟ والجواب أن يُقال: لما قال في الأولى: (... ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ...)أي: يبين لكم ذلك لِتُؤْمِنُوا بِالله وَرَسُولِهِ. وذَكَر الحدود التي حدّها لعباده، ثم سمَّى من لم يؤمن كافرا باسمه وتوعده بالعذاب المُوجِع المُبَالغ فيه، وهو ما يُخوّف الله تعالى به عباده، نعوذ بالله منه. وأما قوله: (عذاب مهين) فلأن قبله: (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا) فَضُمِّن معنى الفعلين الشرط والجزاء، فجعل الكَبْت جزاء مَن آثر حزبا غير حزب الله ورسوله، وحَدّاً غير حدّهما، والكبْت: الإذلال، وقيل: الغَلْبُ والقَهْر والتخييب، وكل ذلك متقارب[1]".

- قال تعالى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا " [البقرة: ١٢٦]، وقال:" وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا "[إبراهيم: ٣٥].

قال ابن كثير: "قوله تعالى: {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا} [البقرة: ١٢٦]، أي اجْعَل هذه الْبقعة بلَدًا آمنًا. وناسب هذا لأنَّه قَبل بناء الْكعبة. وقَال تَعالَى في سورة إبراهيم: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا} [إبراهيم: ٣٥]، وناسب هذا هناك لأنَّه- والله أعلَم- كأنَّه وقع دعاء مرة ثانية بَعد بناء الْبيت واستقرار أهله به، وبعد مولد إسحاق الذي هو أَصغر سنًّا من إسماعيل بثلاث عشرةَ سنةٍ؛ ولهذا قَال في آخر الدُّعاء: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ} [إبراهيم: ٣٩][2]"

---

(١) درة التنزيل (١/١٢٥٧-١٢٥٨)

(٢) تفسير ابن كثير (١/٤٢٥)، وانظر: الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٩٤)

- قال شيخ الإسلام: "الشَّر لَم يُضف إِلَى الله في الْكتَاب وَالسنة إلا علَى أَحد وجوه ثَلاثَة: إمَّا بطريقِ الْعموم، كقوله: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الزمر:٦٢]، وإمَّا بطريقة إضافته إِلَى السَّبب كقَوله: {مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ} [الفلق:٢]، وإمَّا أن يُحذف فَاعله كقَول الْجنِّ: {وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} [الجن:١٠]، وقَد جَمَعَ في الْفاتحة "الأَصناف الثلاثَة "فقال: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} وهذا عام، وقَال: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} فَحذَف فاعل الْغضب. وقال: {وَلَا الضَّالِّينَ} فأضاف الضلال إِلَى الْمخلوق. ومِن هذا قولُ الْخليل: {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} [الشعراء:٨٠]، وقَول الْخضر: {فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا} [الكهف:٧٩]، {فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا} [الكهف:٨١]، {فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا} [الكهف:٨٢] [(١)]".

- قال تعالى في سورة البقرة:" أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ " [البقرة: ١٨٧]، وقال بعد

(١) مجموع الفتاوى (٨/٥١١-٥١٢)، وانظر: منهاج السنة (٣/١٤٣)، (٥/٤١٠)

ذلك : "ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ ۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ " [البقرة: ٢٢٩] .

ففي الآية الأولى قال: (تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فلا تقْرَبُوها) وفي الثانية قال: (فلا تَعْتَدوها) ، فما وجه ذلك؟

قال السيوطي: "لأنَّ الأولَى وردت بعد نَوَاهٍ فناسب النهي عن قُربانها، والثانية بعد أوامر فناسب النهي عن تعدِّيها وتجاوزها بأن يُوقَف عندها[1]".

قال ابن عثيمين: " قوله تعالى: (فلا تَعْتَدوها) أي لا تتجاوزوها؛ وقال العلماء: إذا كانت الحدود مما يجب فعله قال تعالى: (فلا تَعْتَدوها) ؛ وأما إذا كانت الحدود من المحرمات فإنه تعالى يقول: (فلا تقْرَبُوها) [2]".

- قال تعالى في سورة البقرة:" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗا ۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ "[البقرة:٢٦٤]، وفي سورة إبراهيم: "مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ

(١) الإتقان في علوم القرآن (٣/٣٩٤)

(٢) تفسير القرآن الكريم (البقرة) للعثيمين (٣/ ١٠٩)

أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ "[إبراهيم: ١٨].قال ابن جماعة: "أن المثل هنا للعامل، فكان تقديم نفى قدرته وصلتها أنسب؛ لأن (على) من صِلَة القدرة.وآية إبراهيم عليه السلام: "المثل "للعمل، لقوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ) [ابراهيم: ١٨]، تقديره: مثل أعمال الذين كفروا[1]".

- قال تعالى: "قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ" [آل عمران: ٤٧]، وقال تعالى: "قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ "[آل عمران: ٤٠].

قال ابن كثير:"قالت في مناجاتها: {رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ} تقول: كيف يوجد هذا الولد مني وأنا لست بذات زوج ولا من عزمي أن أتزوج، ولست بغيًّا؟ حاشا لله. فقال لها الملَكُ-عن الله عز وجل، في جواب هذا السؤال-:{كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ} أي: هكذا أمر الله عظيم، لا يُعجزُه شيء. وصرح هاهنا بقوله: ﭽ ﭑ ﭽ ولم يقل: "يَفْعَلُ " كما في قصة زكريا، بل نص هاهنا على أنه يخلُقُ؛ لئلا يَبْقَى شبهةً، وأكَّدَ ذَلِكَ بقوله: {إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [2]".

الخامس عشر: ما يستفاد من بعض القواعد في التفسير[3]، مثل:

---

(١) كشف المعاني في المتشابه من المثاني (١/١٢٠)

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٤٤)

(٣) هي: الأحكام الكلية التي يُتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن العظيم ومعرفة كيفية الاستفادة منها. قواعد التفسير (ص٣٠)

- **قاعدة: (عسى) من الله واجبة.**

توضيح القاعدة:

أي أن (عسى) إذا جاءت من قول الله تعالى فإن ذلك يعني أنها متحققة الوقوع، وذلك جَرْياً على عادة العرب، حيث إن العظيم منهم يُخرج الوعد بمثل هذه العبارة وهو يريد تحقيقه.مع أن أصل معناها الترجي، لكنه غير مراد هنا[1].

التطبيق:

-قال تعالى﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ "[المائدة: ٥٢].

قال الشنقيطي: "وبين في هذه الآية: أن تلك الدوائر التي حافظوا من أجلها على صداقة اليهود، أنها لاتدور إلا على اليهود والكفار، ولا تدور على المسلمين بقوله: {فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ} الْآيَةَ. وعسى من الله نافذة؛ لأنه العظيم الذي لا يُطْمِع إلا فيما يُعْطِي[2]".

- **الحكم المُعَلَّق على وصف يزيد بزيادته وينقص بنقصانه[3].**

توضيح القاعدة:

إذا وقع الحمد أو الذم أو الوعد أو الوعيد على جنس فعل من الأفعال أو وصف من الأوصاف فإنه يحصل للمُكَلَّف من ذلك الحمد أو الذم أو الجزاء بقدر نصيبه من ذلك الفعل أو الوصف ومدى تحققه فيه، فيزداد بزيادته وكماله، وينقص بنقصه وضعفه، وينعدم بانعدامه وزواله[4].

---

(١) انظر: قواعد التفسير (١/ ٢٨٧-٢٨٨)

(٢) أضواء البيان (٢/ ١٣٤)

(٣) انظر: قواعد التفسير (٢/ ٦٢٩)

(٤) المرجع السابق (٢/ ٦٢٩)

التطبيق:

- قال تعالى: "لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ "[آل عمران: ٩٢].قال السعدي: "دلت الآية أن العبد بحسب إنفاقه للمحبوبات يكون بره، وأنه ينقص من بره بحسب ما نقص من ذلك[١]".

- قال تعالى: "وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ "[آل عمران: ١٣٩].

قال ابن القيم: "للعبد من العلوِّ بحسب ما معه من الإيمان![٢]".

- قال تعالى: ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا [النساء: ١٤١].

قال ابن القيم: "والتحقيق: ... أن انتفاء السبيل عن أهل الإيمان الكامل، فإذا ضعف الإيمان صار لعدوهم عليهم من السبيل بحسب مانقص من إيمانهم، فهم جعلوا لهم عليهم السبيل بما تركوا من طاعة الله تعالى.

فالمؤمن عزيز غالب مُؤَيَّد منصور مكفي مدفوع عنه بالذات أين كان، ولو اجتمع عليه من بأقطارها؛ إذا قام بحقيقة الإيمان وواجباته ظاهرًا

---

(١) تفسير السعدي (ص ١٣٨)

(٢) إغاثة اللهفان (١٨١/٢)

وباطنًا. وقد قال تعالى للمؤمنين: {وَلاَ تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران:١٣٩] [1]".

- قال تعالى: "قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ "[الأنعام: ١٥١].

"دلت الآية على أنه بحسب عقل العبد يكون قيامه بما أمر الله به[2]".

- قال تعالى:" وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ"[الأعراف: ٥٦].

قال ابن القيم: "فيه تنبيه ظاهر على أن فعل المأمور به هو الإحسان المطلوب منكم، ومطلوبكم أنتم من الله هو رحمته، ورحمته قريب من المحسنين الذين فعلوا ما أُمروا به من دعائه خوفًا وطمعًا، فَقُرْب مطلوبكم منكم - وهو الرحمة-بحسب أدائكم لمطلوبه منكم وهو الإحسان الذي هو في الحقيقة إحسان إلى أنفسكم، فإن الله تعالى هو الغني الحميد، وإن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم[3]".

- قال تعالى:"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ "[الأنفال: ٢٤].

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٨٢- ١٨٣)

(٢) تفسير السعدي (ص ٢٧٩)

(٣) بدائع الفوائد (٣/ ١٧)

قال ابن القيم: "الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ولرسولهﷺ، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له، وإن كانت له حياة بهيمية مُشْتَرَكَة بينه وبين أرذل الحيوانات. فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله والرسول ظاهرًا وباطنًا.

فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان؛ ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول ﷺ؛ فإن كل مادعا إليه ففيه الحياة، فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة، وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول ﷺ[1]".

- قال تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً "[التوبة: ١٢٣]. قال ابن كثير: "فكلما قام ملك من ملوك الإسلام وأطاع أوامر الله، وتوكل على الله فتح الله عليه من البلاد، واسترجع من الأعداء بحسبه وبقدر مافيه من ولاية الله[2]".

- قال تعالى: "وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا " [طه:١١١]. قال الشنقيطي: "يَعُمُّ الشِّرْكَ وَغَيْرَهُ مِنَ المعاصي. وَخَيْبَةُ كُلِّ ظَالِمٍ بِقَدْرِ مَا حَمَلَ مِنَ الظُّلْمِ[3]".

- قال تعالى: "وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ " [طه: ١٢٤].قال ابن القيم: "فإذا كان هذا

---

(١) الفوائد (ص ٨٨)

(٢) تفسير ابن كثير(٤/٢٣٩)

(٣) أضواء البيان (٤/ ٦٤٤)

حال المُعرِض عنه فكيف حال المُعَارِض له بعقله أو عقل من قَلَّده وأحسن الظن به؟ فكما أنه لا يكون مؤمنًا إلا من قَبِلَه وانقاد له، فمن أعرض عنه وعارضه من أبعد الناس عن الإيمان به[1]". وقال: "فإنه سبحانه رَتَّب الْمعيشة الضَّنك علَى الإعراض عن ذكره، فالْمعرض عنه لَه من ضَنْكِ الْمعيشة بِحسب إعراضه، وإن تَنَعَّم في الدُّنيا بأصناف النِّعم، ففي قَلْبِه من الْوحشة والذل والْحسرات التي تقطع الْقلوب، والأماني الْباطلَة والْعذاب الْحاضر ما فيه، وإنَّما يواريه عنه سكرات الشَّهوات والْعشق وحب الدنيا والرياسة، وإن لَم ينضم إلَى ذلك سُكر الْخمر، فسُكر هَذِهِ الْأُمُورِ أَعْظَمُ مِنْ سُكْرِ الْخَمْرِ، فَإِنَّهُ يَفِيقُ صَاحِبُهُ وَيَصْحُو، وَسُكْرُ الْهوى وحب الدنيا لا يصحو صاحبه إلا إذا كان صاحبه في عسكر الأموات. فالْمعيشة الضَّنك لازمة لمن أعرض عن ذِكْرِ الله الَذي أَنزلَه على رَسولهﷺ في دنياه وفي الْبرزخ ويوم معاده، ولا تَقَرُّ الْعين، ولا يهدأ الْقلْب، ولا تطمئنُّ النفس إلا بِإِلَهِها ومعبودها الذي هو حق، وكل معبود سواه باطل، فمن قرَّت عينه بِالله قرَّت به كلُّ عين، ومن لَم تَقَرَّ عينه بِالله تَقَطعت نفسُهُ علَى الدنيا حسراتٍ، والله تعالَى إنَّما جعل الْحياةَ الطيبَةَ لمن آمن به وعمل صالحًا[2]".

- قال تعالى:" إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ "[الحج:٣٨]. قال ابن القيم: "وفي القراءة الأخرى: "إن الله يَدْفَع"[3]، فَدَفْعه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله. ومادة

(١) الصواعق المرسلة (١٧٢/٣)

(٢) الجواب الكافي (ص ١٢٠)

(٣) النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٢٦)

الإيمان وقوته بذكر الله تعالى، فمن كان أكمل إيمانًا وأكثر ذِكْرًا كان دَفْع الله تعالى عنه ودفاعه أعظم، ومن نقص نقص، ذِكْرًا بذكر ونسيانًا بنسيان[1]".

-قال تعالى:"وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ "[العنكبوت:٦٩].

قال ابن القيم: "علَّق سبحانه الهداية بالجهاد، فأكمل الناس هداية أعظمهم جهادًا، وأفرض الجهاد جهاد النفس وجهاد الهوى وجهاد الشيطان وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عَطَّل من الجهاد[2]".

- قال تعالى:" فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ "[محمد:٣٥]. قال ابن القيم: "فهذا الضمان إنما هو بإيمانهم وأعمالهم، التي هي جند من جنود الله، يحفظهم بها ولا يفردها عنهم ويقتطعها عنهم، فيبطلها عليهم، كما يَتِرُ الكافرين والمنافقين أعمالهم، إذ كانت لغيره، ولم تكن موافقة لأمره[3]".

ـــ قال تعالى: "فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ "[الليل: ٥ – ٧].

"ودخول النقص بحسب نقصانها أو بعضها، فمن الناس من يكون قوة إعطائه وبذله أتم من قوة انكفافه وتركه، فقوة الترك فيه أضعف من قوة الإعطاء، ومن الناس من يكون قوة الترك والانكفاف فيه أتم من قوة الإعطاء والمنع، ومن الناس

---

(١) الوابل الصيب (ص ٧٢)

(٢) الفوائد (ص ٥٩)

(٣) إغاثة اللهفان (١٨٣/٢)

من يكون فيه قوة التصديق أتم من قوة الإعطاء والمنع، فقوته العلمية والشعورية أتم من قوته الإرادية وبالعكس، فيدخل النقص بحسب مانقص من قوة هذه القوى الثلاث، ويفوته من التيسير لليسرى بحسب مافاته منها، ومن كملت له هذه القوى يُسِّر لكل يُسرى[1]".

- قال تعالى: "أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ " [الشرح:١- ٤]. قال ابن القيم: "شَرَح الله صدر رسوله أتم الشرح، ووضع عنه وزره كل الوضع، ورفع ذكره كل الرفع، وجعل لأتباعه حظًا من ذلك، إذ كل متبوع فلأتباعه حظ ونصيب من حظ متبوعهم في الخير والشر على حسب اتباعهم له. فأتبع الناس لرسوله ﷺ أشرحهم صدرًا، وأوضعهم وزرًا، وأرفعهم ذِكْرًا، وكلما قويت متابعته علمًا وعملاً وحالاً وجهادًا، قويت هذه الثلاثة حتى يصير صاحبُها أشرحَ الناس صدرًا، وأرفعهم في العالمين ذِكْرًا.

وأما وَضْع وزره فكيف لا يوضع عنه ومن في السماوات والأرض ودواب البر والبحر يستغفرون له؟[2]"

- **زيادة المبنى لزيادة المعنى[3].**

توضيح القاعدة:

"جميع ألفاظ القرآن دالة على معاني بليغة، وحِكَم وأحكام بديعة، ومن هنا فإن القرآن القرآن مترّه عن أن يقع فيه لفظ لا معنى له. ومن ثم فإن أي زيادة تطرأ على اللفظ في كتاب الله تعالى، فإنما تدل على معنى زائد على ما

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص ٦١)

(٢) الكلام على مسألة السماع (ص٤٠١-٤٠٢)

(٣)انظر: قواعد التفسير (١/ ٣٥٦)

يدل عليه اللفظ دونها.وسواء في ذلك ما إذا كانت هذه الزيادة حرفاً، أم كانت زيادة في وزن الكلمة، أو تضعيفها[1]".

التطبيق:

- قال تعالى: "لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ " [البقرة: ٢٨٦]. قال السعدي:"وفي الإتيان بـــ"كسب" في الخير؛ الدال على أن عمل الخير يحصل للإنسان بأدنى سعي منه، بل بمجرد نية القلب، وأتى بـــ "اكتسب" في عمل الشر؛ للدلالة على أن عمل الشر لايكتب على الإنسان حتى يعمله ويحصل سعيه[2]".

- قال تعالى في حكاية قول الخضر لموسى عليه السلام: "قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا " [الكهف:٧٢]، ثم قوله بعد ذلك في قصة قتل الغلام: "قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا" [الكهف:٧٥].

قال الغرناطي: "للسائل أن يسأل عن الفرق المُوجِب لزيادة "لك" في هذا القول الثاني؟والجواب:أن الخضر قد كان قال لموسى حين قال له موسى، عليه السلام: (هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ

---

(١) المرجع السابق (١/ ٣٥٦)

(٢) تفسير السعدي (ص ١٢٠)

مَعِيَ صَبْرًا) [الكهف: ٦٦ - ٦٧]، فلما كان من موسى عند خرق السفينة ما كان من الإنكار بقوله: (خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) [الكهف:٧١]، ذَكَّره الخضر بما كان قد قاله له، من غير أن يزيده على إيراد ما كان قد قاله ، فقال: (أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا). فاعتذر موسى، عليه السلام، بقوله: (لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا) ، فلما وقع منه بعد ذلك إنكار قتل الغلام بقوله (أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ) ، وأبلغ في وصف الفعلة بقوله: (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا)، قابل الخضر ذلك بتأكيد الكلام المتقدم، فقال: (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ)، فالضمير المجرور بيان جيء به تأكيداً، ليقابل بالكلام ما وقع جواباً له من قول موسى، عليه السلام، زيادة للتناسب [1]".

- **حذف المُقْتَضَى يفيد العموم[2].**

توضيح القاعدة:

"المقتضى" بالفتح هو المحذوف. أما بالكسر فهو الكلام المحتاج إلى إضمار.

وقولنا: "يفيد العموم النسبي" أي يفيد تعميم المعنى المناسب له[3].

التطبيق:

- قال تعالى:"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ

(١) ملاك التأويل (ص ٣٢٢)

(٢) انظر: قواعد التفسير (٢/ ٥٩٧)

(٣) المرجع السابق (٢/ ٥٩٧)

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ "[المجادلة:١١].

حيث لم يقيد ذلك الفسح بكونه في الرزق أو الصدر أو القبر، أو الجنة، أو غير ذلك.

"دل قوله تعالى: "يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ" [المجادلة:١١]، على أن كل من وَسَّع على عباد الله أبواب الخير والراحة وَسَّع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة، ولا ينبغي للعاقل أن يُقيد الآية بالتفسح والتوسع في المجلس، بل المراد منه إيصال أي خير إلى المسلم، وإدخال السرور في قلبه[1]".

- قال تعالى: "إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ "[الانفطار: ١٣-١٤].

حيث لم يقيد هذا النعيم هنا في كونه في الدنيا أو البرزخ، أو الآخرة. مع أن ما بعده مُشْعِر أنه في الآخرة.

قال ابن القيم : "لا تحسب أن قوله تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ - وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ}مقصور على نعيم الآخرة وجحيمها فقط، بل في دُورهم الثلاثة كذلك -أعني: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار- فهؤلاء في نعيم، وهؤلاء في جحيم، وهل النعيم إلا نعيم القلب، وهل العذاب إلا عذاب القلب؟ وأي عذاب أشد من الخوف والهم والحزن و ضيق الصدر، وإعراضه عن الله والدار الآخرة، وتعلقه بغير الله، وانقطاعه عن الله، بكل وادٍ منه شعبة، وكل شيء تعلق به وأحبه من دون الله فإنه يسومه سوء العذاب[2]".

---

(١) مفاتيح الغيب (٢٩/٤٩٤)

(٢) الجواب الكافي (ص ٧٦)

- قال تعالى: "قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ "[الإخلاص: ١].

حيث لم يقيد أحديته تعالى بذاته، أو صفاته...إلخ.

قال السعدي : "أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل[1]".

- **الأوصاف المختصة بالإناث إذا أُريد بها الوصف جُرِّدت من التاء، وإذا أُريد به المُباشَرة أُلحِقَت بها التاء[2].**

التطبيق:

- قال تعالى: "يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ "[الحج: ٢].

فَإن قلْت: لم قيل: "مُرْضِعَة " دُون (مُرضع)؟

قلْت: الْمُرضعة التي هي في حال الإرضاع مُلْقِمَة ثَديَها الصبِي، والْمُرضِع: التي شأنها أن تُرضع، وإن لَم تُباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقيل: "مُرْضِعَة "، ليدُل علَى أَنَّ ذلك الهَوْل إذا فُوجئت به هذه، وقَد أَلْقَمت الرَّضيع ثَديهَا: نزعته عن فيه؛ لما يَلحَقُهَا من الدَّهشة[3]".

---

(١) تفسير السعدي (ص ٩٣٧)

(٢) انظر: قواعد التفسير (١/ ٤٤٢). ولما كانت القاعدة من الوضوح بمكان لم نحتج إلى شرحها، والمثال يزيدها وضوحاً.

(٣)الكشاف (١٤٢/٣)، وانظر: أضواء البيان (٥/ ٨)

السادس عشر: قواعد قرآنية[1].

قاعدة: من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه[2]

التطبيق:

قال تعالى-"وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ "[الأنعام: ٨٤].

قال ابن كثير: " وكان هذا مجازاة لإبراهيم، عليه السلام، حين اعتزل قومَه وتركهم، وَنَزَحَ عنهم وهاجر من بلادهم ذاهبًا إلى عبادة الله في الأرض، فَعَوَّضَهُ الله، عز وجل، عن قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صلبه على دينه، لِتَقَرَّ بِهم عَيْنُهُ، كما قال [تَعَالَى] {فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلا جَعَلْنَا نَبِيًّا} [مريم:٤٩]، وقال ها هنا: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلا هَدَيْنَا} "[3].

قال السعدي : "ولما كان مفارقة الإنسان لوطنه ومألفه وأهله وقومه، من أشق شيء على النفس، لأمور كثيرة معروفة، ومنها انفراده عمن يتعزز بهم ويتكثر، وكان من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه، واعتزل إبراهيم قومه، قال الله

---

(١) والمقصود بها: أنها أحكام كلية قطعية دل عليها القرآن الكريم. فهي مأخوذة من القرآن، بخلاف قواعد التفسير كما عرفت من تعريفها سابقاً. فقواعد التفسير من قبيل الوسائل والآلات التي نتوصل بواسطتها إلى المراد، وأما القواعد القرآنية فمن قبيل النتائج.

(٢) وقد ذكر السعدي في القواعد الحسان (ص ١٦٤) أمثلة متنوعة لهذه القاعدة.

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٩٧)

في حقه: {فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلا} من إسحاق ويعقوب {جَعَلْنَا نَبِيًّا} فحصل له هبة هؤلاء الصالحين المرسلين إلى الناس، الذين خصهم الله بوحيه، واختارهم لرسالته، واصطفاهم من العالمين [1]".

- قال تعالى:" وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ "[النحل:٤١قال ابن كثير: "فإنهم تركوا مساكنهم وأموالهم فعوضهم الله خيرًا منها في الدنيا، فإنَّ من ترك شيئًا لله عَوَّضهُ الله بما هو خير له منه، وكذلك وَقَعَ؛ فإنهم مَكَّن الله لهم في البلاد وَحَكَّمَهُم على رِقَابِ العباد، فصاروا أمراء حُكَّامًا، وكل منهم لِلمتقين إِمَامًا [2]".

- قال تعالى: "قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ "[النور: ٣٠].قال السعدي: "فإن من حفظ فرجه وبصره، طهر من الخبث الذي يتدنس به أهل الفواحش، وزكت أعماله، بسبب ترك المحرم، الذي تطمع إليه النفس وتدعو إليه، فمن ترك شيئا لله، عوضه الله خيرا منه، ومن غض بصره عن المحرم، أنار الله بصيرته [3]".

- قال تعالى: "ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ

---

(١) تفسير السعدي (ص ٤٩٤)

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٧٢/ ٥٧٣)

(٣) تفسير السعدي (ص٥٦٦)، وانظر في هذا المعنى: مجموع الفتاوى (١٥/ ٣٩٦)، الفتاوى الكبرى (١/ ٢٨٧)، مختصر الفتاوى المصرية(١/٣١)

تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "[النور: ٣٥].

قال ابن القيم: "قال تعالى عقيب أمره للمؤمنين بغض أبصارهم وحفظ فروجهم {اللهُ نُورُ السَّمواتِ وَالأرْضِ} وسر هذا الخبر : أن الجزاء من جنس العمل. فمن غض بصره عما حرم الله عز وجل عليه عوضه الله تعالى من جنسه ما هو خير منه، فكما أمسك نور بصره عن المحرمات أطلق الله نور بصيرته وقلبه، فرأى به ما لم يره من أطلق بصره و لم يغضه عن محارم الله تعالى[1]".

- قال تعالى: "تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ "[السجدة: ١٦ -١٧].

قال ابن رجب: "فإنَّ المُتَهَجِّد قد ترك لذة النوم بالليل ولذة التمتع بأزواجه طلبًا لما عند اللَّهِ عز وجل فعوَّضَهُ اللَّهُ تعالَى خيرًا مما تركَهُ وهوَ الحورُ العينِ في الجنةِ[2]".

- قال تعالى:"وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى ۖ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٤٨)، وانظر: مجموع الفتاوى (٢١/ ٢٥٧-٢٥٨)

(٢) تفسير ابن رجب (٢/ ١٨٤)

بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ "[ص:٣٠-٤٠].

قال السعدي:"من ترك شيئا لله عوضه الله خيراً منه، فسليمان عليه السلام عقر الجياد الصافنات المحبوبة للنفوس،[على هذا التفسير] تقديمًا لمحبة الله، فعوضه الله خيراً من ذلك، بأن سخر له الريح الرخاء اللينة،التي تجري بأمره إلى حيث أراد وقصد،غدوها شهر، ورواحها شهر، وسخر له الشياطين، أهل الاقتدار على الأعمال التي لا يقدر عليها الآدميون"(١).

- قال تعالى:"لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ " [المجادلة: ٢٢].

قال ابن كثير: "وفي قوله تعالى: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [المجادلة:

(١) تفسير السعدي (ص ٧١٢)، وانظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٧٣)، مدارج السالكين (٢/ ٤٢٦)

٢٢]، سر بديع وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله ، عوضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم، والفوز العظيم والفضل العميم[١]".

قاعدة: الجزاء من جنس العمل

التطبيق:

- قال تعالى:" ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ "[الفاتحة: ٦]. قال ابن القيم : " من هُديَ في هذه الدَّار إلى صراط الله المستقيم، الَّذي أرسل به رُسُلَهُ، وأنزل به كُتُبَه، هُدِيَ هناك إلى الصِّراط المستقيم، الموَصِّل إلى جنته ودار ثوابه، وعلى قَدْر ثُبوت قَدَم العَبْد على هذا الصِّراط الَّذي نَصبَه الله لِعبَادِهِ في هذه الدَّار يَكُون ثُبوت قدمه على الصِّراط المنصُوبِ على مَتْنِ جهنم، وعلى قَدْ سَيرِه على هذه الصِّراط يكون سَيرُهُ على ذاك الصِّراط، فمنهم من يَمُرُّ كالبَرْق، ومنهم من يَمرُّ كالطرف، ومنهم من يَمُرُّ كالريح، ومنهم من يَمُرُّ كَشَدِّ الرِّكَاب، ومنهم من يَسْعَى سَعيًا، ومنهم من يمشي مَشْيًا، ومنهم من يَحبُو حَبوًا، ومنهم المخدوش المسَلَّمُ، ومنهم الْمُكَرْدَسُ في النار، فَلْيَنْظُر العَبْد سَيْرَهُ على ذلك الصراط منْ سَيْرِهِ على هذا، حَذْوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ، جزاءً وفاقًا: "هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" [النمل: ٩٠][٢]".

- قال تعالى: "وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ" [الأعراف: ٩٠-٩١]. قال ابن كثير: "أخبر تعالى هاهنا أنهم أخذتهم الرجفة

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/٥٥)

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٣)

وذلك كما أرجفوا شعيبًا وأصحابه وتوعدوهم بالجلاء. كما أخبر عنهم في سورة هود فقال: {وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [هود: ٩٤]، والمناسبة في ذلك والله أعلم: أنهم لما تَهَكَّموا بنبي الله شعيب في قولهم: {أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} [هود: ٨٧]، فجاءت الصيحة فأسكتتهم. وقال تعالى إخبارًا عنهم في سورة الشعراء: {فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [الشعراء: ١٨٩]، وماذاك إلا لأنهم قالوا له في سياق القصة: {فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [الشعراء: ١٨٧]، فأخبر أنه أصابهم عذاب يوم الظُّلَّة، وقد اجتمع عليهم ذلك كله[١]".

- قال تعالى:فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ [التوبة: ٨٣].

قال الشنقيطي : "عاقب الله في هذه الآية الكريمة المتخلفين عن غزوة تبوك بأنهم لا يُؤْذَن لهم في الخروج مع نبيه ﷺ، ولا القتال معه ﷺ؛ لأن شؤم المخالفة يؤدي إلى فوات الخير الكثير[٢]".

- قال تعالى:" مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ " [النحل: ٩٧].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٤٤٨-٤٤٩)

(٢) أضواء البيان (٢/ ١٤٧)

قال ابن القيم: "**وقَد ضمن الله سبحانه لكل من عمل صالحًا أن يُحييه حياة طيِّبة**، فهو صادق الْوعد الَذي لا يُخْلف وَعْدَه، وأيُّ حياةٍ أطيب من حياة من اجتمعت هُمُومُهُ كُلُّها وصارت همًّا واحدًا في مرضاة الله؟ ولَمْ يَتشعَّب قلْبه، بل أقبل على الله، واجتمعت إرادته وأفكاره التي كانت مُتقسِّمَة بكل وادٍ منها شعبة علَى الله، فصار ذِكْرُه بمحبوبه الأعلَى وحبُّه والشَّوق إلى لقائه، والأنسُ بقربه هو الْمُستولي علَيه، وعلَيه تدور همومه وإرادته وقصوده بكل خطرات قلبه، فإن سكت سكت بالله، وإن نطق نطق بالله، وإن سَمِع فبه يَسمع، وإن أبصر فبه يُبصر، وبه يبطش، وبه يمشي، وبه يسكُنُ، وبه يحيا، وبه يموت، وبه يُبعث[1]".

- قال تعالى:" فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ " [السجدة:١٧].قال الحسن البصري : "أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم تر عين، و لم يخطر على قلب بشر[2]".

- قال تعالى: "وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ "[السجدة: ٢٤].

قال ابن كثير: "قال ابن عيينة في تفسير قوله تعالى: "وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ۖ " [السجدة:٢٤]. قال: "لَمَّا أَخَذُوا بِرَأْسِ الْأَمْرِ صَارُوا رُؤُوسًا. قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ تَنَالُ الْإِمَامَةَ فِي الدِّينِ[3]".

---

(١) الجواب الكافي (٢٧٧/٢٧٨)

(٢) تفسير ابن كثير (٣٦٥/٦)

(٣) المرجع السابق (٣٧٢/٦)

- قال تعالى: "ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا "[فاطر: ٤٣]. قال ابن القيم: "وقد شَاهَد الناس عيانًا أن من عاش بالمَكْر مات بالفقر[١]".

- قال تعالى: "وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا "[الإنسان: ١٢].

قال ابن تيمية: " ولما كان في الصّبْر من حبس النَّفس والخشونة الَّتِي تلحق الظَّاهِر وَالبَاطن من التَّعَب والنّصب والحرارة ما فيه كان الجَزَاء عليه بالجنَّة الَّتِي فيها السعَة وَالحرير الَّذي فيه اللين والنعومة والإتكاء الَّذي يتَضَمَّن الرَّاحة والظلال المنافية للْحر [٢]".

- قال تعالى:" وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ "[المطففين: ٢٧].

قال ابن القيم: "قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: يشرب بها المقربون صِرْفًا، ويُمْزَج لأصحاب اليمين مَزْجًا. وهذا لأن الجزاء وفاق العمل، فكما خلصت أعمال المقربين كلها لله خلص شرابهم، وكما مَزَج الأبرار الطاعات بالمباحات مُزِج لهم شرابهم، فمن أخلص أُخْلِص شرابه، ومن مَزَج مُزِج شرابه[٣]".

قال تعالى-" فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ "[الليل: ٥ – ٧].

---

(١) إغاثة اللهفان (١/٣٥٨)

(٢) جامع الرسائل (١/ ٧٣)، وانظر: روضة المحبين (ص ٤٨٠)

(٣) طريق الهجرتين (ص ١٩٤)

قال ابن القيم: "فالنفس المطيعة هي النافعة المُحسِنة، التي طَبْعُها الإحسان وإعطاء الخير اللازم والمتعدي، فتُعطي خيرها لنفسها ولغيرها، فهي بمنزله العين التي ينتفع الناس بشربهم منها، وسقي دوابهم وأنعامهم وزرعهم، فهم ينتفعون بها كيف شاؤوا، فهي مُيَسَّرة لذلك، وهكذا الرجل المبارك مُيَسَّر للنفع حيث حل، فجزاء هذا أن يُيَسِّره الله لليُسرى كما كانت نفسه مُيسَّرة للعطاء[1]".

- قَالَ تَعَالَى:" فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ" [الأعلى: ٩ – ١٣].

قال ابن تيمية: "فالجزاء من جنس العمل. لَمَّا كان في الدنيا لَيْسَ بِحَيٍّ الْحَيَاةَ النافعة التي خُلق لأجلها، بل كانت حياته من جنس حياة البهائم، ولم يكن مَيِّتًا عديم الإحساس، كان في الآخرة كذلك[2]".

قاعدة: من ترك الإقبال على ما ينفعه ابتُلي بالاشتغال بما يضره[3].

التطبيق:

– قال تعالى:" وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص ٥٦–٥٧)

(٢) مجموع الفتاوى(١٤/ ٢٩٧–٢٩٨)

(٣) القواعد الحسان للسعدي (ص٩٦)

هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ "[البقرة: ١٠١- ١٠٢]. قال السعدي: "ولما كان من العوائد القدرية والحكمة الإلهية أن **من ترك ماينفعه وأمكنه الانتفاع به فلم ينتفع، ابتُلي بالاشتغال بما يضره**، فمن ترك عبادة الرحمن، ابتُلي بعبادة الأوثان، ومن ترك محبة الله وخوفه ورجائه، ابتلي بمحبة غير الله وخوفه ورجاءه، ومن لم ينفق ماله في طاعة الله، أنفقه في طاعة الشيطان، ومن ترك الذل لربه، ابتلي بالذل للعبيد، ومن ترك الحق ابتلي بالباطل.كذلك هؤلاء اليهود لما نبذوا كتاب الله اتبعوا ما تتلوا الشياطين وتختلق من السحر على مُلْك سليمان حيث أخرجت الشياطين للناس السحر، وزعموا أن سليمان عليه السلام كان يستعمله وبه حصل له الملك العظيم"[1].

- قال تعالى: "وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ " [الأنعام: ١١٠].

قال ابن القيم: "من عُرِض عليه حق فَردَّه ولم يقبله عُوقِب بفساد قلبه وعقله ورأيه[2] ".

- قال تعالى: "قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا " [الأحزاب:١٦].

---

(١) تفسير السعدي (ص ٦٠)

(٢) مفتاح دار السعادة (ص ٩٩)

قال ابن القيم: " فأخبر الله أن الفرار من الموت بالشهادة لا ينفع، فلا فائدة فيه، وأنه لو نفع لم ينفع إلا قليلاً، إذ لابد له من الموت، فيفوته بهذا القليل ما هو خير منه وأنفع من حياة الشهيد عند ربه.

ثم قال: {مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً؟ وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيا وَلا نَصِيراً} [الأحزاب: ١٧]

فأخبر سبحانه أن العبد لايعصمه أحد من الله إن أراد به سوءًا غير الموت الذي فر منه؛ فإنه [فرّ] من الموت لّما كان يسوؤه، فأخبر الله سبحانه أنه لو أراد به سوءًا غيرَه لم يعصمه أحد من الله، وأنه قد يفر مما يسوؤه من القتل في سبيل الله، فيقع فيما يسوؤه مما هو أعظم منه. وإذا كان هذا في مصيبة النفس، فالأمر هكذا في مصيبة المال والعِرْض والبدن؛ فإن من بخل بماله أن ينفقه في سبيل الله تعالى وإعلاء كلمته، سلبه الله إياه أو قَيَّض له إنفاقه فيما لا ينفعه دنيا ولا أُخرى، بل فيما يعود عليه بمضرته عاجلاً وآجلاً! وإن حبسه وادخره منعه التمتع به ونقله إلى غيره فيكون له مَهْنَؤُه وعلى مُخلِّفه وِزْرُه! وكذلك من رَفَّه بدنه وعِرْضه وآثر راحته على التعب لله وفي سبيله؛ أتعبه الله سبحانه أضعاف ذلك في غير سبيله ومرضاته، وهذا أمر يعرفه الناس بالتجارب.

قال أبو حازم[1]: لَمَا يلقى الذي لا يتقي الله من معالجة الخلق أعظم مما يلقى الذي يتقي الله من معالجة التقوى[2].واعْتَبِر ذلك بحال إبليس؛ فإنه امتنع

---

(١) هو: سلمة بن دينار المخزومي، أبو حازم، ويقال له الأعرج: عالم المدينة وقاضيها وشيخها. فارسي الأصل. كان زاهداً عابداً. توفي سنة: ١٤٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ١٠١)، الأعلام للزركلي (٣/ ١١٣)

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٢٤٥)

من السجود لآدم فرارًا أن يخضع له ويذل، وطلب إعزاز نفسه فَصَيَّره الله أذل الأذلين، وجعله خادمًا لأهل الفسوق والفجور من ذريته، فلم يرض بالسجود له ورضي أن يخدم هو وبنوه فُسَّاق ذريته. وكذلك عُباد الأصنام، أَنِفُوا أن يتّبعوا رسولاً من البشر، وأن يعبدوا إلهًا واحدًا سبحانه، ورضوا أن يعبدوا آلهة من الأحجار.وكذلك كل من امتنع أن يذل لله، أو يبذل ماله في مرضاته، أو يُتعب نفسه في طاعته؛ لابد أن يذل لمن لا يَسْوَى ويبذل له ماله ويُتعِب نفسه وبدنه في طاعته ومرضاته؛ عقوبة له، كما قال بعض السلف: من امتنع أن يمشي مع أخيه خطوات في حاجته، أمشاه الله تعالى أكثر منها في غير طاعته[1]".

٥- أنواع أخرى[2].

التطبيق:

- قال تعالى عن المنافقين: "وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ " [البقرة:١٤].

قال ابن عاشور: " قَوله: "إنا معكم" مع أنَّ مقتضى الظاهر أن يكون كلامُهم بِعكسِ ذلك؛ لأنَّ الْمؤمنين يَشكُّون في إيمانِ الْمنافقين، وقَومهم لا يَشكُّون في بقائهم على دينهم، فجاءت حكاية كلامهم الْموافقة لمدلولاته على خلاف مقتضى الظاهر لمراعاة ما هو أجدر بعناية الْبليغ من مُقتضى الظاهر. فَخَلَّو خطابهم مع الْمؤمنين عما يفيد تأكيد الْخبر؛ لأنهم لا يُريدون أن يعرضوا أنفُسَهُم في مَعْرِضِ من يتطرَّق ساحتَه الشَّكُّ في صدقه؛ لأنهم إذا فعلوا ذلك فقد أيقظوهم

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/١٩٤-١٩٥)

(٢) هذه الأمثلة لا تدخل تحت أحد الأنواع المذكورة.

إلَى الشَّك، وذلك من إتقان نفاقهم؛ علَى أنه قد يكون الْمؤمنون أخلياء الذهنِ من الشَّك في الْمنافقين لعدم تَعيُّنهم عندهم، فيكون تجريد الْخبر من الْمؤَكِّدات مقتضىَ الظاهر. وأما قولُهُم لقومِهم "إنا معكم" بالتأكيد فذلك لأنه لَما بدا من إبداعهم في النفاق عند لقاء المسلمين ما يوجب شك كُبَرَائِهِم في الْبقاء علَى الْكفر، وتَطْرُقُ به التُّهمة أبواب قلوبِهِم احتاجوا إلَى تأكيد ما يدلُّ علَى أنَّهم باقون علَى دينهم[1]".

- قال تعالى: "مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ" [البقرة: ١٧].

قال ابن القيم: "تأمل قوله تعالى:" أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ "كيف جعل ضوءها خارجًا عنه منفصلاً، ولو اتصل ضوؤها به ولَابسَه لم يذهب، ولكنه كان ضوء مُجاورة، لامُلابَسة ومُخالَطة. وكان الضوء عارضًا والظلمة أصلية، فَرَجَعَ الضَّوْءُ إِلَى مَعْدِنِهِ وَبَقِيَتِ الظُّلْمَةُ فِي مَعْدِنِهَا، فرجع كل منهما إلى أصله اللائق به[2]".

- قال تعالى: "ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ "[البقرة: ١٤٦].قال الراغب:"إنما قال:{كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ}ولم يقل (أنفسهم)؛لأن الإنسان لايعرف نفسه إلابعد انقضاء بُرهة من دهره، ويعرف ولده من حين وجوده، ثم في ذكر الابن ماليس في ذكر النفس، فإن ابن الإنسان عصارة ذاته ونسخة صورته[3]".

---

(١) التحرير والتنوير (١/٢٩١-٢٩٢)

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٦٤)

(٣) تفسير الراغب (١/٣٣٨)

- قال تعالى: "ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ " [البقرة: ٢٦٨]. قال ابن القيم: "فالملَك والشيطان يتعاقبان على القلب تَعَاقُب الليل والنهار، فمن الناس من يكون ليله أطول من نهاره، وآخر بضده، ومنهم من يكون زمنه نهارًا كله، وآخر بضده، نستعيذ بالله تعالى من شر الشيطان[1]".

- قال تعالى: "ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ "[آل عمران: ١٥٤].

قال ابن القيم: "فمن ظن بأنه لاينصر رسوله، ولا يُتِم أمره، ولا يُؤيده ويُؤيد حزبه، ويُعليهم ويُظفِرهم بأعدائه، ويُظهرهم عليهم، وأنه لاينصر دينه وكتابه، وأنه يديل الشرك على التوحيد، والباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالاً لايقوم بعده أبدًا؛ فقد ظن بالله ظن السوء، ونَسَبه إلى خلاف مايليق بكماله وجلاله، وصفاته ونعوته، فإن حَمْدَه وعِزَّته وحِكمته وإلهيته تأبى ذلك، وتأبى أن يذل حزبه وجنده، وأن تكون النصرة المُستقرة والظَّفَر الدائم لأعدائه المشركين به، العادلين به، فمن ظن به ذلك فما عرفه، ولا عرف أسماءه، ولا عرف صفاته وكماله، وكذلك من

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٠٨)

أنكر أن يكون ذلك بقضائه وقدره فما عرفه، ولا عرف ربوبيته وملكه وعظمته، وكذلك من أنكر أن يكون قَدَّر ماقَدَّرَه من ذلك وغيره لحكمة بالغة، وغاية محمودة يستحق الحمد عليها، وأن ذلك إنما صدر عن مشيئة مجردة عن حكمة، وغاية مطلوبة هي أحب إليه من فَوْتِها، وأن تلك الأسباب المكروهة المُفْضِية إليها لايخرج تقديرها عن الحكمة؛ لإفضائها إلى مايحب، وإن كانت مكروهة له، فما قَدَّرَها سُدَى، ولا أنشأها عبثًا، ولا خلقها باطلاً، {ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ} [ص: ٢٧]، وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله، وعرف أسماءه وصفاته، وعرف مُوجِبَ حَمْدِه وحكمته، فمن قَنَطَ من رحمته، وأَيِسَ من رَوْحه، فقد ظن به ظن السوء[1]".

- قال تعالى: "أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ "[آل عمران: ١٤٢].

قال السعدي: "وكلما عظم المطلوب عظمت وسيلته، والعمل الموصل إليه، فلا يُوصَل إلى الراحة إلا بترك الراحة، ولا يُدرَك النعيم إلا بترك النعيم، ولكن مكاره الدنيا التي تصيب العبد في سبيل الله عند توطين النفس لها، وتمرينها عليها ومعرفة ماتؤول إليه تنقلب عند أرباب البصائر مِنَحًا يُسَرُّون بها، ولا يُبالون بها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[2]".

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٢٢٩-٢٣٠)

(٢) تفسير السعدي (ص ١٥٠)

- قال تعالى:" وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا "[النساء: ٦٦].

قال السعدي: "ثم أخبر أنهم لو فعلوا مايوعظون به، أي: ما وُظِّف عليهم في كل وقت بحسبه، فبذلوا هِمَمَهم، ووَفَّروا نفوسهم للقيام به وتكميله، ولم تطمح نفوسهم لما لم يصلوا إليه، ولم يكونوا بصدده، وهذا هو الذي ينبغي للعبد، أن ينظر إلى الحالة التي يلزمه القيام بها فيكملها، ثم يتدرج شيئًا فشيئًا، حتى يصل إلى ماقُدِّر له من العلم والعمل في أمر الدين والدنيا، وهذا بخلاف من طمحت نفسه إلى أمر لم يصل إليه، ولم يُؤمر به بعد، فإنه لا يكاد يصل إلى ذلك بسبب تفريق الهمة، وحصول الكسل وعدم النشاط[1]".

- قال تعالى:هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا [النساء: ١٠٩].

قال السعدي: "وفي هذه الآية إرشاد إلى المقابلة بين مايُتوَهَّم من مصالح الدنيا المترتبة على ترك أوامر الله ، أو فعل مناهيه، وبين ما يفوت من ثواب الآخرة، أو يحصل من عقوباتها.

فيقول: من أَمَرَتْه نفسُه بترك أمر الله ها أنت تركت أمره كسلاً وتفريطًا، فما النفع الذي انتفعت به؟ وماذا فاتك من ثواب الآخرة؟ وماذا ترتب على هذا الترك من الشقاء والحرمان والخيبة والخسران؟

---

(١) المرجع السابق (ص ١٨٥)

وكذلك إذا دعتُه نفسه إلى ماتشتهيه من الشهوات المُحَرَّمة، وقال لها: هَبْك فعلت ماشتهيت، فإن لذته تنقضي، ويعقبها من الهموم والغموم والحسرات، وفوات الثواب وحصول العقاب ما بعضه يكفي العاقل في الإحجام عنها.وهذا من أعظم ما ينفع العبد تَدَبُّره، وهو خاصة العقل الحقيقي. بخلاف الذي يَدَّعي العقل وليس كذلك، فإنه بجهله وظلمه يُؤْثِر اللذة الحاضرة والراحة الراهنة، ولو ترتب عليها ماترتب. والله المستعان[1]".

- قال تعالى: وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ" [النساء:١٠٠]. قال ابن القيم: "فمن تعبد الله بمُرَاغَمَة عدوه فقد أخذ من الصِّدِّيقية بسهم وافر، وعلى قدر محبة العبد لربه وموالاته ومعاداته لعدوه، يكون نصيبه من هذه المُراغَمة. ولأجل هذه المُراغَمة حُمِدَ التبختر بين الصفين، والخيلاء والتبختر عند صَدَقَة السر، حيث لا يراه إلا الله؛ لما في ذلك من إرغام العدو، وبَذْل محبوبه من نفسه وماله لله عز وجل، وهذا باب من العبودية لايعرفه إلا القليل من الناس، ومن ذاق طعمه ولَذَّته بكى على أيامه الأُوَلِ وصاحب هذا المقام إذا نظر إلى الشيطان، ولاحظه في الذنب، رَاغَمَه بالتوبة النصوح، فأحدثت له هذه المُراغَمة عبودية أخرى[2]".

- قال تعالى: "لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ [الأنعام: ١٠٣]. قال السعدي: "ومن لطفه أنه يسوق عبده إلى مصالح دينه، ويوصلها إليه بالطرق التي لا يشعر بها العبد، ولا يسعى فيها، ويوصله إلى

(١) المرجع السابق (ص ٢٠٠)

(٢) مدارج السالكين (١/ ٢٤١-٢٤٢)

السعادة الأبدية، والفلاح السرمدي، من حيث لا يحتسب، حتى إنه يُقَدِّر عليه الأمور التي يكرهها العبد، ويتألم منها، ويدعو الله أن يزيلها؛ لعلمه أن دينه أصلح، وأن كماله متوقف عليها، فسبحان اللطيف لما يشاء، الرحيم بالمؤمنين[1]".

- قال تعالى:" وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ "[الأنعام: ٣٨].

قال ابن القيم: "منهم من يكون على أخلاق السباع العادية، ومنهم من يكون على أخلاق الكلاب، وأخلاق الخنازير، وأخلاق الحمير، ومنهم من يَتَطَوَّس بثيابه، كما يَتَطَوَّس الطاووس في ريشه، ومنهم من يكون بليدًا كالحمار، ومنهم من يُؤْثِر على نفسه كالديك، ومنهم من يألف ويُؤْلَف كالحمام، ومنهم الحقود كالجمل، ومنهم الذي هو خير كله كالغنم، ومنهم أشباه الثعالب تروغ كروغانها.

وقد شبه الله تعالى أهل الجحيم والغي: بالحُمر تارة، وبالكلب تارة، وبالأنعام تارة، وتقوى هذه المشابهة باطنًا، حتى تظهر في الصورة الظاهرة ظهورًا خفيًا، يراه المُتفَرِّسُون، وتظهر في الأعمال ظهورًا يراه كل أحد[2]".

- قال تعالى: "يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ "[الأعراف:٣١].

قال ابن القيم عن هذه الآية: "جمعت أصول أحكام الشريعة كلها، فجمع الأمر والنهي والإباحة والخبر[3]".

---

(١) تفسير السعدي (ص ٢٦٨)

(٢) الجواب الكافي (ص ١١٨-١١٩)

(٣) بدائع الفوائد (٤/ ٧)

- قال تعالى: "وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ" [الأعراف: ٥٦].

قال ابن القيم: "ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله ﷺ، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك، فسببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله ﷺ. ومن تدبر هذا حق التدبر، وتأمل أحوال العالم منذ قام إلى الآن، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين؛ وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه، وفي حق غيره عمومًا وخصوصًا، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1]".

- قال تعالى: "أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ "[الأعراف:٩٩].قال السعدي:"وهذه الآية الكريمة فيها من التخويف البليغ على أن العبد لاينبغي له أن يكون آمنًا على ما معه من الإيمان، بل لايزال خائفًا وَجِلاً أن يُبتلى ببلية تسلب مامعه من الإيمان، وأن لايزال داعيًا بقوله: «**يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»، وأن يعمل ويسعى، في كل سبب يُخَلِّصه من الشر عند وقوع الفتن، فإن العبد -ولو بلغت به الحال مابلغت- فليس على يقين من السلامة[2]".

- قال تعالى: "وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ

(١) المرجع السابق (٣/ ١٥)

(٢) تفسير السعدي (ص ٢٩٨)

تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ" [الأعراف: ١٤٣ – ١٤٤].قال السعدي: "ينبغي لمن طمحت نفسه لما لا قدرة له عليه، أو غير ممكن في حقه، وحزنت لعدم حصوله أن يُسليها بما أنعم الله به عليه مما حصل له من الخير الإلهي الذي لم يحصل لغيره؛ ولهذا لما طمحت نفس موسى عليه السلام إلى رؤية الله تعالى وطلب ذلك من الله، فأعلمه الله أن ذلك غير حاصل له في الدنيا وغير ممكن، سلّاه بما آتاه فقال: { يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ} [الأعراف:١٤٤]، وكذلك نبه الله رسوله وعباده المؤمنين على هذا المعنى بقوله:{أَوْ جَاؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ} [النساء:٩٠]"[1].

– قال تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[الأنفال: ٤٥]. قال الشنقيطي: "والمُحِب الصادق في حُبّه لا ينسى محبوبه عند نزول الشدائد[2]".

– قال تعالى:"أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ "[التوبة: ١٦]. قال ابن القيم: "ولا وَلِيجَة أعظم ممن جعل رجلاً

(١) المواهب الربانية (ص ٤٠)

(٢) أضواء البيان (٢/ ٤٨٦)

بعينه مُختارًا على كلام الله ورسوله ﷺ وكلام سائر الأمة يُقَدِّمه على ذلك كله، ويَعْرِض كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة على قوله، فما وافقه منها قبله لموافقته لقلبه، وما خالفه منها تلطف في رده وتَطَلَّبَ له وجوه الحيل، فإن لم تكن هذه وليجة فلا ندري ما الوليجة؟[1]".

- قال تعالى: "وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ "[التوبة:١٢٢].قال السعدي: "وفي هذه الآية أيضًا دليل وإرشاد وتنبيه لطيف لفائدة مهمة، وهي أن المسلمين ينبغي لهم أن يُعِدُّوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها ويُوفر وقته عليها، ويجتهد فيها ولا يلتفت إلى غيرها؛ لتقوم مصالحهم وتتم منافعهم؛ ولتكون وجهة جميعهم، ونهاية مايقصدون قصدًا واحدًا وهو قيام مصلحة دينهم ودنياهم، ولو تفرقت الطرق وتعددت المشارب فالأعمال مُتباينة والقصد واحد. وهذه من الحكمة العامة النافعة في جميع الأمور[2]".

- قال تعالى: "فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ "[يوسف: ٧٦].

قال ابن القيم: "وفي ذلك تنبيه على أن العلم الدقيق بلطيف الحيل المُوصلة إلى المقصود الشرعي الذي يُحبه الله تعالى ورسوله ﷺ.. صفة مدح يرفع الله تعالى بها درجة العبد[3]".

---

(١) إعلام الموقعين (٢/ ١٣٠)

(٢) تفسير السعدي (ص ٣٥٥)

(٣) إغاثة اللهفان (٢/ ١١٩)

- قال تعالى: "وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ " [النحل:٤١-٤٢]. قال السعدي: "فما فات أحدًا شيء من الخير إلا لعدم صبره، وبَذْل جُهده فيما أُريد منه، أو لعدم توكله واعتماده على الله[1]".

- قال تعالى: "وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا "[الإسراء: ٣٣]. قال ابن كثير: "وقد أخذ الإمام الحبر ابن عباس رضي الله عنهما من عموم هذه الآية الكريمة ولاية معاوية السَّلْطَنة، وأنه سيملك؛ لأنه كان ولي عثمان، وقد قتل عثمان مظلومًا ﷺ[2]".

- قال تعالى:"إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا "[الكهف: ١٠].

قال السعدي: "وفي هذه القصة دليل على أن من فرّ بدينه من الفتن سلمه الله منها، وأن من حرص على العافية عافاه الله، ومن أوى إلى الله آواه الله، وجعله هداية لغيره، ومن تحمل الذل في سبيله وابتغاء مرضاته، كان آخر أمره وعاقبته العز العظيم من حيث لا يحتسب{وما عند الله خير للأبرار} [آل عمران: ١٩٨].[3]"

---

(١) تفسير السعدي (ص ٤٤٠)

(٢) تفسير ابن كثير (٧٣/٥)

(٣) تفسير السعدي (ص ٤٧٣)

- قال تعالى:"وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا "[الكهف:١٨].قال ابن كثير:"وشملت كلبهم بركتهم، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال. وهذا فائدة صحبة الأخيار، فإنه صار لهذا الكلب ذِكْر وخبر وشأن[١]".

- قال تعالى:"وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا "[الكهف:٤٩]. قال قَتَادَة: "يشتكي الْقَوْم كَمَا تَسْمَعُونَ الإحصاء، وَلم يشتك أحد ظلمًا؛ فإياكم والمُحَقّرات من الذُّنُوب؛ فَإِنَّهَا تَجْتَمِع على صَاحبهَا حَتَّى تَهلكه[٢]".

- قال تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا" [الكهف: ٥٠]. قال ابن القيم: "ويُشْبِه أن يكون تحت هذا الخطاب نوع من العِتَاب لطيف عجيب، وهو أني عاديتُ إبليس إذ لم يسجد لأبيكم آدم مع ملائكتي، فكانت معاداته لأجلكم، ثم كان عاقبة هذه المعاداة أن عَقَدتُم بينه وبينكم عَقْد المُصَالَحة؟![٣]".

---

(١) تفسير ابن كثير (١٤٤/٥)

(٢) الدر المنثور (٤٠١/٩)

(٣) الجواب الكافي (ص ٨٣)

- قال تعالى: "قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي" إلى قوله تعالى " كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا"[طه:٢٥-٣٣]. في هذه الآيات أدب من آداب الدعاء، وهو نُبْل الغاية، وشَرَف المقصد، وقريب منه قوله ﷺ: «**اللهم اشف عبدك فلانًا، ينكأ لك عدوًّا، ويمشي لك إلى صلاة**»[1][2].ومن أعجب ما ظاهره الرجاء وهو شديد التخويف، قوله تعالى: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} [طه:٨٢]، فإنه عَلَّق المغفرة على أربعة شروط، يَبْعُد تصحيحها[3].

-قال تعالى:"لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ "[الأنبياء: ١٠].

قال السعدي: "وهذه الآية مِصْداقها ما وقع، فإن المؤمنين بالرسول الذين تَذَكَّروا بالقرآن، من الصحابة فمن بعدهم حصل لهم من الرِّفْعَة والعلو الباهر والصِّيت العظيم والشرف على الملوك ما هو أمر معلوم لكل أحد،كما أنه معلوم ما حصل لمن لم يرفع بهذا القرآن رأسًا، ولم يهتد به ويتركّ به من المقت والضعة والتدسية والشقاوة،فلاسبيل إلى سعادة الدنيا والآخرة إلا بالتذكر بهذا الكتاب[4]".

- قال تعالى: "حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ "[المؤمنون:٩٩- ١٠٠]

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٣١٠٧)، قال الألباني في الصحيحة:(حديث حسن)

(٢) ليدبروا آياته (١/١٥٠)

(٣) مختصر منهاج القاصدين (ص ٣٠٨)

(٤) تفسير السعدي (ص ٥١٩)

قال ابن كثير: "قال قتادة: والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله، فانظروا أمنية الكافر المُفَرِّط فاعملوا بها، ولا قوة إلا بالله [1]".

- قال تعالى: "الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ "[العنكبوت: ١- ٣].

قال ابن القيم: "فمن كان ظهيرًا للمجرمين من الظَّلَمة على ظُلمهم، ومن أهل الأهواء والبدع على أهوائهم وبدعهم، ومن أهل الفجور والشهوات على فجورهم وشهواتهم ليتخلص بمظاهرتهم من ألم أذاهم، أصابه من ألم الموافقة لهم عاجلاً وآجلاً أضعاف أضعاف مافرّ منه. وسنة الله في خلقه أن يعذبهم بإنذار من إيمانهم وظاهرهم، وإن صبر على ألم مخالفتهم ومجانبتهم أعقبه ذلك لذة عاجلة وآجلة تزيد على لذة الموافقة بأضعاف مضاعفة. وسنة الله في خلقه أن يرفعه عليهم ويذلهم به بحسب صبره وتقواه وتوكله وإخلاصه، وإذا كان لا[بد][2] من الألم والعذاب فذلك في الله وفي مرضاته ومتابعة رسله أولى وأنفع منه في الناس ورضائهم وتحصيل مراداتهم[3]".

- قال تعالى: "ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن

(١) تفسير ابن كثير (٥/٤٩٤)

(٢) ما بين المعقوفين زيادة، يقتضيها السياق.

(٣) شفاء العليل (ص ٢٤٦)

شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ "[النور:٣٥].

قال البغوي: "شَبَّهه بالكواكب، وَلَمْ يُشَبِّهْهُ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؛ لِأَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَلْحَقُهُمَا الْخُسُوفُ، وَالْكَوَاكِبَ لَا يَلْحَقُهَا الْخُسُوفُ[1]".

- قال تعالى: "وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ " [النمل:١٥].

قال السبكي: "فإن الله تعالى آتى داود وسليمان من نعم الدنيا والآخرة ما لا ينحصر، ولم يذكر من ذلك — في صدر الآية — إلا العلم؛ ليبين أنه الأصل في النعم كلها[2]".

- قال تعالى: "قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا

- وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ " [النمل:٣٤].

قال الشنقيطي: "ألا ترى أن ملكة سبأ في حال كونها تسجد للشمس من دون الله هي وقومها لما قالت كلامًا حقًا صَدَّقها الله فيه، ولم يكن كفرها مانعًا من تصديقها في الحق الذي قالته، وذلك في قولها فيما ذكر الله عنها: {وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً} [النمل:٣٤]، فقد قال تعالى مُصَدِّقًا لها في قولها: {وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ} [النمل:٣٤]، وقد قال الشاعر:

لا تحقرن الرأي وهو موافق ** حكم الصواب إذا أتى من ناقص

(١) تفسير البغوي (٣/٤١٦)

(٢) فتاوى السبكي (١/٧٣)

فالدُّر وهو أعـــز شيء يُقْتَنى ** ماحَـــط قيمتَه هـــوان الغائص[1][2]".

- قال تعالى:"وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ" [فاطر:٣٧].

قال ابن القيم: "فمن لم يُورثه التعمير وطُول البقاء إصلاح معائبه، وتدارك فَارِطه، واغتنام بقية أنفاسه، فيعمل على حياة قلبه، وحصول النعيم المقيم، وإلا فلا خير له في حياته ... فالطالب الصادق في طلبه كلما خرب شيء من ذاته جعله عمارة لقلبه وروحه، وكلما نقص شيء من دنياه جعله زيادة في آخرته، وكلما مُنع شيئًا من لذات دنياه جعله زيادة في لذات آخرته، وكلما ناله هم أو حزن أو غم جعله في أفراح آخرته.

فَنُقصان بدنه ودنياه ولذته وجاهه ورئاسته إن زاد في حصول ذلك وتوفيره عليه في معاده كان رحمة به وخيرًا له، وإلا كان حرمانًا وعقوبة على ذنوب ظاهرة أو باطنة، أو ترك واجب ظاهر أو باطن، فإن حرمان خير الدنيا والآخرة مُرَتَّب على هذه الأربعة[3]".

-قال تعالى:" وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ" [الزمر:٧٣].قال ابن القيم: "وتأمل ما في سَوْق الفريقين إلى الدارين زُمرًا من فرحة هؤلاء بإخوانهم وسيرهم معهم كل زُمرة على حِدَة، كل مُشتركين في

(١) وفيات الأعيان (٢/ ١٨٨)

(٢) أضواء البيان (١/ ٨-٩)

(٣) الفوائد (ص ١٨٩-١٩٠)

عمل مُتصَاحِبين فيه على زُمرتهم وجماعتهم مُستبشرين أقوياء القلوب كما كانوا في الدنيا وقت اجتماعهم على الخير، كذلك يُؤنس بعضهم بعضًا ويَفرَح بعضهم ببعض. وكذلك أصحاب الدار الأخرى يُساقون إليها زُمرًا يلعن بعضهم بعضًا ويتأذى بعضهم ببعض،وذلك أبلغ في الخزي والفضيحة والهَتِيكَة من أن يُساقُوا واحدًا واحدًا.فلا تُهْمِل تدبر قوله سبحانه: {زُمَراً} [1]".

- قال تعالى: قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ " [يس:٢٦-٢٧].قال قتادة:"لا تَلقَى المؤمن إلا ناصحًا، لا تلقاه غاشًا. لَمّا عَاين ماعَاين من كرامة الله تعالى:{قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ}تمنى على الله أن يعلم قومه بما عَاين من كرامة الله له، وما هجم عليه[2]".

- قال تعالى: "وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ"[النجم:٤٢].قال ابن القيم:"قوله سبحانه:«وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى» [النجم:٤٢] متضمن لكتر عظيم، وهو أن كل مُراد إن لم يُرَد لأجل الله، ويتصل به، وإلا فهو مُضمحِل، مُنقطع، فإنه ليس إليه المنتهى، وليس المنتهى إلا إلى الذي انتهت إليه الأمور كلها، فانتهت إلَى خلقه ومشيئته وحكمته وَعلمه، فهو غاية كل مطلوب، وكل محبوب لا يُحَبّ لأجله فمحبته عَنَاء وعذاب [3]".

- قال تعالى: "إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ "[الواقعة:٧٧]"وَصْفُ القرآن بأنه كريم في قوله تعالى: "إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ " فيه ميزة، وهي: أن الكلام إذا قُرئ

(١) حادي الأرواح (ص ٥٢)

(٢) تفسير ابن كثير (٦/٥٧١-٥٧٢)

(٣) الفوائد (ص ٢٠٢)

وتردد كثيرًا يهون في الأعين والآذان؛ ولهذا ترى من قال شيئًا في مجلس الملوك لا يذكره ثانيًا ولا يكرره، فقوله تعالى" إِنَّهُ لَقُرْآنٌ "أي: لا يهون بكثرة التلاوة، بل يبقى أبد الدهر كالكلام الغض والحديث الطَّري[1]".

-قال الشيخ بكر أبوزيد:"ومن نظر في آيات القرآن الكريم وجد أن البيوت مضافة إلى النساء في ثلاث آيات من كتاب الله تعالى، مع أن البيوت للأزواج أو لأوليائهن؛ وإنما حصلت هذه الإضافة -والله أعلم- مراعاة لاستمرار لزوم النساء للبيوت، فهي إضافة إسكان، ولزوم للمسكن، والتصاق به، لا إضافة تمليك.

قال الله تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ} [الأحزاب: ٣٣]، وقال سبحانه: { وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى } [الأحزاب: ٣٤] ، وقال عز شأنه: { لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ} [الطلاق: ١][2]".

- قال تعالى:"وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ" [الأحقاف:١٥].قال ابن هبيرة: "هذا من تمام بر الوالدين، كأن هذا الولد خاف أن يكون والداه قَصَّرا في شُكر الرب،فسأل الله أن يلهمه الشكر على ما أنعم به عليه وعليهما، ليقوم بما وجب عليهما من الشكر إن كانا قَصَّرا[3]".

---

(١) مفاتيح الغيب (١٦٦/٢٩)

(٢) حراسة الفضيلة (ص ٥٨)

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (١٤٧/٢)

-قال الإسكافي: "لسائل أن يسأل عن قوله في خِلَال ذِكْر الطلاق والعِدَد: (..... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ) ثلاث مرات، يفعل به كذا. واختصاص كل جزاء بمكان فأوله: (يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) [الطلاق: ٢-٣]. والثاني: (يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) [الطلاق: ٤].والثالث: (يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا) [الطلاق: ٥]. والجواب أن يُقَال: إنما اقترن بالطلاق والعِدّة هذا الوعظ؛ لأن الطلاق فَضّ حال مُتَمَهِّدة، وقَطْع آمال مُتأكِّدة، والعدة باستيفائها يخلص النسب، ويصح للزوج الثاني الولد، ولو لم يكن هذا الحد الذي حَدَّه الله تعالى لَكان الفساد مُتَّصِلا في انقضاء الدنيا فهو أحق الأشياء بالمراعاة وتأكيد المقال فيه والوصاة[1]".

- هل سمعت بطفل يتدبر القرآن؟ قال أحدهم: كنت مع ابنتي (٧ سنوات) فسمعت قارئًا عَبْر الإذاعة يتلو: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ} [آل عمران: ١٨١]، فسَأَلَتْ ببراءة: إذا كان الله فقيرًا وهم أغنياء، فمن الذي أغناهم؟![2].

- قال تعالى:" قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ "[الفلق:١].قال أبو السعود [3]: " الفَلَقُ: الصُّبْحُ كالفرقِ؛ لأنَّه يفلق عنه الليل ويفرق ... وقيلَ: هُوَ ما انفلقَ منْ عمودِهِ وفِي تعليقِ العياذِ باسمِ الرَّبِّ المضافِ إلى الفلقِ المنبيءِ عنِ النورِ عَقيبَ

(١) درة التنزيل (١٢٨٣- ١٢٨٤)

(٢) ليدبروا آياته (٢/ ٤٧-٤٨)

(٣) هو: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود: مُفَسِّر شاعر، من علماء الترك المُسْتَعْرِبين. وُلِد بقرب القسطنطينية، ودَرَسَ ودَرَّسَ في بلاد متعددة، وتقلد القضاء في بروسة، فالقسطنطينية، فالروم ايلي. وأُضيف إليه الإفتاء سنة ٩٥٢ هـ وكان حاضر الذهن، سريع البديهة. توفي سنة: ٩٨٢هـ. الكواكب السائرة (٣/ ٣١)، الأعلام للزركلي (٧/ ٥٩)

الظلمةِ والسَّعةِ بعدَ الضيقِ والفتقِ بعدَ الرَّتْقِ عِدَةٌ كريمةٌ بإعاذة العائذِ مِمَّا يعوذُ منْهُ، وإنجائِهِ منْهُ، وتقويةٌ لرجائِهِ بتذكيرِ بعضِ نظائِرِهِ، ومزيدُ ترغيبٍ لَهُ في الجدِّ والاعتناءِ بقرعِ بابِ الالتجاءِ إليهِ تعالَى. ففيه إشْعارٌ بأنَّ منْ قدرَ أنْ يزيلَ ظلمةَ الليلِ منْ هذَا العالمِ قدرَ أنْ يزيلَ عنِ العائذِ ما يخافُهُ [1]".

- قال تعالى"وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "[التوبة: ٧١].

-قال شيخ الإسلام: "قوله:{وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ}إشارة إلى ما هو لازم لهم في الدنيا والآخرة من الآلام النفسية: غمّا وحزنًا، وقسوة وظُلمة قلب وجهلاً، فإن للكفر والمعاصي من الآلام العاجلة الدائمة ما الله به عليم؛ ولهذا تجد غالب هؤلاء لا يُطيّبون عيشهم إلا بما يُزيل العقل، ويُلهي القلب ومن تناول مسكر، أو رؤية مُلْهٍ، أو سماع مُطْرب، ونحو ذلك وفي مقابل ما حكاه الله عن الكافرين، قوله في المؤمنين:{أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ} [التوبة: ٧١]، فإن الله يُعَجِّل للمؤمنين من الرحمة في قلوبهم، وغيرها بما يجدونه من حلاوة الإيمان ويذوقونه من طعمه، وانشراح صدورهم للإسلام، إلى غير ذلك من السرور بالإيمان، والعلم، والعمل الصالح، بما لا يمكن وصفه[2]".

- قال تعالى: "وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ "[الأعراف: ٥٦].

---

(١) تفسير أبي السعود (٩/ ٢١٤) (بتصرف يسير)

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/١١٠-١١١)

قال ابن القيم: "وذكر الطمع-الذي هو الرجاء-في آية الدعاء لأن الدعاء مبني عليه، فإن الداعي ما لم يطمع في سؤاله ومطلوبه لم تتحرك نفسه لطلبه، إذ طلب ما لا طمع فيه ممتنع[1]".

- قال تعالى: "وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ "[يونس: ٤٥]. قال ابن حزم : "إذا حققت مدة الدنيا لم تجدها إلا (الآن) الذي هو فَصْل الزمانين فقط[2]".

- قال تعالى: "قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ "[الأعراف: ١١٥، ١١٦]، وقال تعالى:" قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ "[طه:٦٥،٦٦].فما وجه طلب موسى عليه السلام أن تكون البَدَاءَة منهم؟قال ابن كثير:"لأن موسى أراد أن تكون البَدَاءَة منهم، ليرى الناس ما صنعوا،ثم يأتي بالحق بعده فيدمغ باطلهم[3]".

- قال تعالى: لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ [المؤمنون: ١٠٠]. قَالَ قَتَادَة:

---

(١) بدائع الفوائد (٣ / ١٢)

(٢) الأخلاق والسير (ص ٢٠)

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٨٦)

"طلب الرُّجُوع ليعْمَل صَالحًا، لَا ليجمع الدُّنْيا، وَيَقْضِي الشَّهَوَات، فرحم الله امْرَءًا عمل فِيمَا يتمناه الْكَافِر إِذا رأى الْعَذَاب[1]".

- قال تعالى:" مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا"[الفتح:٢٩]. لما ذكر مُبْتَغِي العابدين بعبادتهم هنا قال:"الراكعون والساجدون"، وحين ذكر وعده لهم قال: "لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ" [فاطر: ٣٠]. وفيه "إشارة إلَى معنى لطيف؛ لأنَّ الله تعالَى إذا قال لكم أجر كان ذلك منه تفضلا، وإشارة إلَى أنَّ عملكم جاء على ما طلب الله منكم؛ لأنَّ الأجرة لا تُستَحَقُّ إلا على الْعمل الْموافق للطَّلَب من الْمالك، والْمؤمن إذا قَال: أنا أبتغي فضلك يكون منه اعترافًا بالتَّقصير فقال: "يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ "ولم يقل أجرًا[2]".

- قال تعالى:"يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ "[الحجرات: ١٣]. قال شيخ الإسلام: " ليس في كتاب الله آية واحدة يمدح فيها أحدًا بنسبه، ولا يذم أحدًا بنسبه؛ وإنما يمدح بالإيمان والتقوى، ويذم بالكفر والفسوق والعصيان[3]".

---

(١) تفسير السمعاني (٣ / ٤٩٠)

(٢) مفاتيح الغيب (٢٨ /٨٩)

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/٢٣٠)

- قال تعالى:"إِن رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " [المزمل: ٢٠].

قال السعدي: "الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وليعلم أن مثقال ذرة من الخير في هذه الدار، يقابله أضعاف أضعاف الدنيا وما عليها في دار النعيم المقيم من اللذات والشهوات، وأن الخير والبر في هذه الدنيا مادة الخير والبر في دار القرار، وبذره وأصله وأساسه، فوا أسفاه على أوقات مضت في الغفلات، ووا حسرتاه على أزمان تقضت بغير الأعمال الصالحات، وواغوثاه من قلوب لم يُؤَثِّر فيها وعظ بارئها، ولم ينجع فيها تشويق من هو أرحم بها منها. فلك اللهم الحمد، وإليك المُشتكى وبك المُستغاث، ولا حول ولا قوة إلا بك[1]".

- قال تعالى: "فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ" [الليل: ٥- ٧]. قال ابن القيم: "وذلك يتضمن تيسيره للخير وأسبابه، فيجري الخير، ويُيسر على قلبه، ويديه ولسانه، وجوارحه، فتصير خصال الخير مُيسَّرة عليه مُذللة له مُنقادة، لا تستعصي عليه، ولا

(١) تفسير السعدي (ص ٨٩٤)

تستصعب؛ لأنه مُهيأ لها، مُيسَّر لفعلها، يسلك سبلها ذُلُلاً، وتُقاد له علمًا وعملاً، فإذا خَالَلْتَه قلت هو الذي قيل فيه:

مُباركُ الطلعة ميمونها يصلح للدنيا وللدين[1]".

- قال تعالى:" أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ "[التكاثر:١].قال ابن القيم: "وكل من كاثر إنسانًا في دنياه أو جاهه أو غير ذلك، شغلته مكاثرته عن مكاثرة أهل الآخرة. فالنفوس الشريفة العلوية ذات الهمم العالية إنما تُكاثر بما يدوم عليها نفعه، وتكمل به وتزكو، وتصير مُفْلِحة، فلا تُحب أن يكثرها غيرها في ذلك، ويُنافسها في هذه المُكاثرة، ويُسابقها إليها. فهذا هو التكاثر الذي هو غاية سعادة العبد ... وصاحب هذا التكاثر لايهون عليه أن يرى غيره أفضل منه قولاً، وأحسن منه عملاً، وأغزر علمًا، وإذا رأى غيره أكثر منه في خصلة من خصال الخير يعجز عن لحاقه فيها كَاثَره بخصلة أخرى. وهو قادر على المُكاثرة بها. وليس هذا التكاثر مذمومًا ولا قادحًا في إخلاص العبد، بل هو حقيقة المنافسة، واستباق الخيرات[2]".

٦- التفسير الإشاري[3].

قال ابن القيم: "وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول: تفسير على اللفظ، وهو الذي ينحو إليه المتأخرون، وتفسير على المعنى، وهو الذي يذكره السلف،

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص ٦١-٦٢)

(٢) عدة الصابرين (ص ١٩٣- ١٩٤)

(٣) والمشهور في تعريفه: أنه تأويل للقرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف، وأنه يمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضاً.هكذا قالوا، والواقع أن هذا معناه عند المتصوفة، وإلا فهو نوع من التفسيربالاعتبار والقياس(من باب أن الشيء بالشيء يُذْكَر).وعامة مايُذكر من هذا النوع لا يخلومن إشكال،وبعضه فَرْمَطَة وتحريف، لكن منه ما يصح إذا توفرت فيه تلك الشروط المذكورة أعلاه.

وتفسير على الإشارة والقياس، وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم. وهذا لا بأس به بأربعة شرائط: أن لايناقض معنى الآية، وأن يكون معنى صحيحاً في نفسه، وأن يكون في اللفظ إشعار به، وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم. فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطاً حسناً[1]".

التطبيق:

- قال تعالى: "يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[البقرة: ١٨٩].

المعنى الظاهر:"يسألك أصحابك -أيها النبي-: عن الأهلة وتغيُّر أحوالها، قل لهم: جعل الله الأهلة علامات يعرف بها الناس أوقات عباداتهم المحددة بوقت مثل الصيام والحج، ومعاملاتهم. وليس الخير ما تعودتم عليه في الجاهلية وأول الإسلام من دخول البيوت من ظهورها حين تُحْرِمون بالحج أو العمرة، ظانين أن ذلك قربة إلى الله، ولكن الخير هو فِعْلُ مَنِ اتقى الله واجتنب المعاصي، وادخلوا البيوت من أبوابها عند إحرامكم بالحج أو العمرة، واخشوا الله تعالى في كل أموركم،لتفوزوا بكل ما تحبون من خيري الدنيا والآخرة[2]".

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص٧٩)، وانظر: جامع المسائل لابن تيمية (٤/ ٦٥)، مجموع الفتاوى (٢/ ٢٧- ٢٨)، (٦/ ٣٧٦- ٣٧٧)، (١٠/ ٧٨)، (١١/ ٤٢)، مجموعة الرسائل والمسائل (١/ ٢٩)، الموافقات (٤/ ٢٣١-٢٣٢، ٢٤٣-٢٤٤)، التفسير والمفسرون (٢/ ٢٦١)، مفهوم التفسير والتأويل للطيار (ص٨٩-١٠٧)، مناهل العرفان (٢/ ٧٨- ٨١)

(٢)التفسير الميسر (ص ٢٩)

ما يؤخذ من إشارة الآية:

قال السعدي: "ويستفاد من **إشارة الآية** أنه ينبغي في كل أمر من الأمور أن يأتيه الإنسان من الطريق السهل القريب، الذي قد جُعِل له مُوصلاً، فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، ينبغي أن ينظر في حالة المأمور ويستعمل معه الرفق والسياسة التي بها يحصل المقصود أو بعضه، والمتعلم والمعلم ينبغي أن يسلك أقرب طريق وأسهله يحصل به مقصوده، وهكذا كل من حاول أمرًا من الأمور وأتاه من أبوابه وثابر عليه فلا بد أن يحصل له المقصود بعون الملك المعبود[1]".

- قال تعالى:" وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا " [النساء: ٥].

المعنى الظاهر:

"ولا تؤتوا -أيها الأولياء - من يُبَذِّر من الرجال والنساء والصبيان أموالهم التي تحت أيديكم فيضعوها في غير وجهها، فهذه الأموال هي التي عليها قيام حياة الناس، وأنفقوا عليهم منها واكسوهم، وقولوا لهم قولا معروفًا من الكلام الطيب والخلق الحسن[2]".

ما يؤخذ من إشارة الآية:قال الغزالي: "تنبيهًا على أن حفظ العلم ممن يُفسده ويضره أولى، وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق[3]".

---

(١) تفسير السعدي (ص ٨٨)

(٢) التفسير الميسر (ص٧٧)

(٣) الإحياء (٥٨/١)

- قال تعالى: قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ [الأعراف: ١٣].

المعنى الظاهر:

"قال الله لإبليس: فاهبط من الجنة، فما يصح لك أن تتكبر فيها، فاخرج من الجنة، إنك من الذليلين الحقيرين [١]".

ما يؤخذ من إشارة الآية: قال ابن عاشور:"هذه الآية أصل في ثبوت الحق لأهل المَحَلَّة،أن يُخرِجوا من مَحَلَّتِهم من يُخشى من سيرته فُشُو الفساد بينهم[٢]"

- قال تعالى:" وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ " [الأنفال:٣٣].

المعنى الظاهر:

"وما كان الله سبحانه وتعالى ليعذِّب هؤلاء المشركين، وأنت-أيها الرسول-بين ظهرانَيْهم،وما كان الله معذِّبهم، وهم يستغفرون من ذنوبهم [٣]".

ما يؤخذ من إشارة الآية: قال ابن القيم: "**فأشارت** هذه الآية أن محبة الرسول وحقيقة ماجاء به إذا كان في القلب فإن الله لا يعذبه، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وإذا كان وجود الرسول في القلب مانعًا من تعذيبه فكيف بوجود الرب تعالى في القلب؟ **فهاتان إشارتان** [٤]".وقال في موضع آخر:"وتأمل كيف يُفهم منه أنه إذا كان وجود بدنه وذاته فيهم دفع عنهم

---

(١) التفسير الميسر (ص ١٥٢)

(٢) التحرير والتنوير (٤٤/٨)

(٣) التفسير الميسر (ص ١٨٠)

(٤) الكلام على مسألة السماع (ص٣٩٧)

الْعذاب وهم أعداؤه، فكيف وجود سرِّه والإيمان به ومحبَّته ووجود ما جاء به إذا كان في قَوم أو كان في شخص؟، أفلَيس دفعه الْعذاب عنهم بطريق الأَولَى والأحرى[1]".

- قال تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ "[التوبة: ١٢٣].

المعنى الظاهر:"يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وانقادت قلوبهم وأذعنت، وأقروا بألسنتهم، وعملوا بشرعه، ابدؤوا بقتال الأقرب فالأقرب إلى دار الإسلام من الكفار، وليجد الكفار فيكم غِلْظة وشدة، واعلموا أن الله مع المتقين بتأييده ونصره[2]".

ما يؤخذ من إشارة الآية: قال ابن القيم: "الدنيا والشيطان عدوان خارجان عنك. والنفس عدو بين جنبيك. من سنة الجهاد: "قاتلوا الذين يلونكم "[التوبة: ١٢٣][3]".

- قال تعالى: "إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" [التوبة: ٤٠].

المعنى الظاهر:"يا معشر أصحاب رسول الله ﷺ إن لا تنفروا معه أيها المؤمنون إذا استَنْفَركم، وإن لا تنصروه؛ فقد أيده الله ونصره يوم أخرجه

---

(١) إعلام الموقعين (١/١٧٣)

(٢) التفسير الميسر (ص ٢٠٧) (بتصرف يسير).

(٣) بدائع الفوائد (ص ٢٢٥)

الكفار من قريش من بلده (مكة)، وهو ثاني اثنين (هو وأبو بكر الصديق ﷺ) وألجؤوهما إلى نقب في جبل ثور بـ «مكة» ، فمكثا فيه ثلاث ليال، إذ يقول لصاحبه (أبي بكر) لما رأى منه الخوف عليه: لا تحزن إن الله معنا بنصره وتأييده، فأنزل الله الطمأنينة في قلب رسول الله ﷺ ، وأعانه بجنود لم يرها أحد من البشر وهم الملائكة، فأنجاه الله من عدوه وأذل الله أعداءه، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى. وكلمةُ الله هي العليا، وذلك بإعلاء شأن الإسلام. والله عزيز في ذاته وصفاته و ملكه، حكيم في تدبير شؤون عباده. وفي هذه الآية منقبة عظيمة لأبي بكر الصديق ﷺ [1] ".

ما يؤخذ من إشارة الآية:

قال شيخ الإسلام: "كل من وافق الرسول ﷺ في أمر خالف فيه غيره فهو من الذين اتبعوه في ذلك؛ وله نصيب من قوله: {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة: ٤٠]،فإن المعية الإلهية المتضمنة للنصر هي لِـمَا جاء به إلى يوم القيامة، وهذا قد دلّ عليه القرآن، وقد رأينا من ذلك وجربنا ما يطول وصفه[2]"وقال ابن القيم: "فمن أصح الإشارات إشارة هذه الآية، وهي أن من صحب الرسول ﷺ وما جاء به بقلبه وعمله وإن لم يصحبه ببدنه فإن الله معه[3]"

- قال تعالى:"لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ "[الرعد: ١١].

المعنى الظاهر:

---

(١) التفسير الميسر (ص١٩٣) (بتصرف يسير).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٧/٢٨)

(٣) الكلام على مسألة السماع (ص٣٩٧)

"لله تعالى ملائكة يتعاقبون على الإنسان من بين يديه ومن خلفه، يحفظونه بأمر الله ويحصون ما يصدر عنه من خير أو شر. إن الله سبحانه وتعالى لا يغيِّر نعمة أنعمها على قوم إلا إذا غيَّروا ما أمرهم به فعصوه. وإذا أراد الله بجماعةٍ بلاءً فلا مفرَّ منه، وليس لهم مِن دون الله مِن وال يتولى أمورهم، فيجلب لهم المحبوب، ويدفع عنهم المكروه [1]".

ما يؤخذ من إشارة الآية:

قال ابن القيم: "فدلالة لفظها: أنه لا يغيِّر نِعَمه التي أنعم بها على عباده حتى يُغيِّروا طاعته بمعصيته، كما قال في الآية الأخرى:

"ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ " [الأنفال: ٥٣]. **وإشارتها:** أنه إذا عاقب قومًا وابتلاهم لم يغيِّر ما بهم من العقوبة والبلاء حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم من المعصية إلى الطاعة، كما قال العباس عمُّ رسول الله ﷺ: (ما نزلَ بلاءٌ إلا بذنب، ولا رُفِع إلا توبة)[2] ومنه قول النبي ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة**»[3] فإذا مَنع الكلب والصورة دخول الملك إلى البيت، فكيف تدخل معرفة الرب ومحبته في قلب ممتلئ بكلاب الشهوات وصورها؟وكذلك قوله ﷺ : «**لا أُحِلُّ المسجدَ لحائضٍ ولا جُنُبٍ**»[4]، فإذا حرم بيت الرب على الحائض والجنب، فكيف بمعرفته ومحبته والتنعم بذكره على حائض

---

(١) التفسير الميسر (ص٢٥٠)

(٢) أخرجه الدينوري في المجالسة (٣/ ١٠٢)، وابن عساكر في التاريخ (٢٦/ ٣٥٩) بإسناد واه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٢٢)، ومسلم (٢١٠٦)

(٤) أخرجه أبو داود (٢٣٢)، وضعفه الألباني في إرواء الغليل (١٢٤)

القلب وجنبه ؟**فهذه إشارات صحيحة، وهي من جنس مقاييس الفقهاء، بل أصح من كثير منها**[1]".

- قال تعالى:" وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا "[الإسراء: ٢٤].

المعنى الظاهر:

"وكُنْ لأمك وأبيك ذليلا متواضعًا رحمة بهما، واطلب من ربك أن يرحمهما برحمته الواسعة أحياءً وأمواتًا،كما صبرا على تربيتك طفلا ضعيف الحول والقوة[2]".

ما يؤخذ من إشارة الآية:

قال السعدي: "وكذلك من تولى تربية الإنسان في دينه ودنياه تربية صالحة – غير الأبوين– فإن له على من رباه حق التربية[3]".

- قال تعالى :"لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ "[الأنبياء: ٢٢].

المعنى الظاهر:

"لو كان في السموات والأرض آلهة غير الله سبحانه وتعالى تدبر شؤونهما، لاختلَّ نظامهما، فتنزَّه الله رب العرش، وتقدَّس عَمَّا يصفه الجاحدون الكافرون، من الكذب والافتراء وكل نقص[4]".

---

(١) الكلام على مسألة السماع (ص ٣٩٧-٣٩٨)

(٢) التفسير الميسر (ص٢٨٤)

(٣) تفسير السعدي (ص ٤٥٦)

(٤) التفسير الميسر (ص ٣٢٣)

ما يؤخذ من إشارة الآية:

قال ابن القيم: "كما أن السماوات والأرض لو كان فيهما آلهة غيره سبحانه لفسدتا، كما قال تعالى :{لَوْ كانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلا الله لَفَسَدَتَا} [الأنبياء: ٢٢]، فكذلك القلب إذا كان فيه معبود غير الله تعالى فسد فسادًا لا يُرجى صلاحه؛ إلا بأن يخرج ذلك المعبود من قلبه، ويكون الله تعالى وحده إلهه ومعبوده الذي يحبه ويرجوه ويخافه، ويتوكل عليه وينيب إليه[1]".

- قال تعالى: "وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ "[القصص:٢٢].

المعنى الظاهر:

"ولما قصد موسى بلاد «مدين» وخرج من سلطان فرعون قال: عسى ربي أن يرشدني خير طريق إلى «مدين» [2]".

ما يؤخذ من إشارة الآية:

قال السعدي: " إن الناظر في العلم عند الحاجة إلى التكلم فيه، إذا لم يترجح عنده أحد القولين، فإنه يستهدي ربه، ويسأله أن يهديه الصواب من القولين، بعد أن يقصد بقلبه الحق ويبحث عنه، فإن الله لا يخيب مَنْ هذه حاله[3]".

- قال تعالى: "فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ" [الروم:٥٠].

---

(١) إغاثة اللهفان (١/٣٠)

(٢) التفسير الميسر (ص ٣٨٨)

(٣) تفسير السعدي (ص ٦١٨)

المعنى الظاهر:

"فانظر -أيها المُشاهِد- نظر تأمل وتدبر إلى آثار المطر في النبات والزروع والشجر، كيف يحيي به الله الأرض بعد موتها، فينبتها ويُعْشِبُها؟ إن الذي قَدَر على إحياء هذه الأرض لمحيي الموتى، وهو على كل شيء قدير لا يعجزه شيء[1]".

ما يؤخذ من إشارة الآية:

قال السعدي: " فإذا كانت الأرض الخاشعة الخالية من كل نبت إذا أنزل الله عليها المطر اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، واختلط نبتها وكثرت أصنافه ومنافعه جعله الله تعالى من أعظم الأدلة الدالة على سعة رحمته وكمال قدرته، وأنه سَيُحْيي الموتى للجزاء؛ فالدليل في القلب الخالي من العلم والخير حين يترل الله عليه غيث الوحي فيهتز بالنبات ويُنبت من كل زوج بهيج من العلوم المختلفة النافعة، والمعارف الواسعة، والخير الكثير، والبر الواسع، والإحسان الغزير، والمحبة لله ورسوله، وإخلاص الأعمال الظاهرة والباطنة لله وحده لا شريك له، والخوف والرجاء والتضرع والخشوع لله، وأنواع العبادات، وأصناف التقربات، والنصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم.

وغير ذلك من العلوم والأعمال الظاهرة والباطنة، والفتوحات الربانية مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، أعظم من الأرض بكثير على سعة رحمة الله وواسع جوده وتنوع هباته وكمال اقتداره وعزته. وأنه يحيي الموتى للجزاء، وأن عنده في الدار الأخرى من الخيرات والفضل ما لا يعلمه أحد غيره[2]".

---

(١) التفسير الميسر (ص٤٠٩)

(٢) المواهب الربانية (ص ٩٣)، وقد سبق في (ص ٣٩)

- قَالَ تَعَالَى: "إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ "[يس: ١٢].

المعنى الظاهر:

"إنا نحن نحيي الأموات جميعًا ببعثهم يوم القيامة[١]".

ما يؤخذ من إشارة الآية:

قال ابن كثير: "أي: يوم الْقيامة، وفيه إشارة إِلَى أَنَّ الله تعالَى يُحْيِي قَلْب من يشاء من الْكفار الَذين قَد ماتت قلوبهم بالضلالَة، فيهديهم بعد ذلك إِلَى الْحق، كَما قَال تَعالَى بعد ذِكْر قسوة الْقلوب: {اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الْحَدِيدِ: ١٧][٢]".

-قال تعالى: "نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ " [الواقعة: ٧٣].

المعنى الظاهر:

"نحن جعلنا ناركم التي توقدون تذكيرًا لكم بنار جهنم ومنفعة للمسافرين[٣]".

ما يؤخذ من إشارة الآية:

قال ابن القيم: "تذكرة تُذْكَر بها الآخرة، ومنفعة للنازلين بالقَواء وهم المسافرون، يقال: أقوى الرجل إذا نزل بالقِيِّ والقَوَى وهى الأرض الخالية، وخص المقوين بالذكر وإن كانت منفعتها عامة للمسافرين والمقيمين تنبيهًا لعباده -والله

(١) التفسير الميسر (ص٤٤٠)

(٢) تفسير ابن كثير (٥٦٥/١١)

(٣) التفسير الميسر (ص٥٣٦)

أعلم بمراده من كلامه- على أنهم كلهم مسافرون، وأنهم في هذه الدار على جناح سفر ليسوا هم مقيمين ولا مستوطنين[1]".

- قال تعالى:" لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ "[الواقعة:٧٩].

المعنى الظاهر:"لا يَمَسُّ القرآن إلا الملائكة الكرام الذين طهرهم الله من الآفات والذنوب[2]".

ما يؤخذ من إشارة الآية:قال شيخ الإسلام: "كما أن اللوح المحفوظ الذي كتب فيه حروف القرآن لا يمسه إلا بدن طاهر، فمعاني القرآن لا يذوقها إلا القلوب الطاهرة، وهي قلوب المتقين[3]".

قال ابن القيم: "ودلت الآية بإشارتها وإيمائها على أنه لا يدرك معانيه ولا يفهمه إلا القلوب الطاهرة، وحرام على القلب المتلوث بنجاسة البدع والمخالفات أن ينال معانيه وأن يفهمه كما ينبغي.

قال البخاري في صحيحه في هذه الآية: لا يجد طعمه إلا من آمن به[4]. وهذا أيضًا من إشارة الآية وتنبيهها، وهو أنه لا يلتذ به وبقراءته وفهمه وتدبره إلا من شهد أنه كلام الله، تكلم [به][5] حقًا، وأنزله على رسوله وحيًا، ولا ينال معانيه إلا من لم يكن في قلبه حرج منه بوجه من الوجوه، فمن لم يؤمن بأنه حق من عند الله ففي قلبه منه حرج، ومن لم يؤمن بأن الله سبحانه تكلم به وحيًا وليس مخلوقًا من جملة مخلوقاته ففي قلبه منه حرج،

---

(١) طريق الهجرتين (ص ١٤١- ١٤٢) وقد مضى تحت عنوان: (العموم والخصوص).

(٢) التفسير الميسر (ص ٥٣٧)

(٣) مجموع الفتاوى (٢٤٢/١٣)

(٤) انظر: صحيح البخاري (٩/ ١٥٥)

(٥) في الأصل: (بها)

ومن قال: إن له باطنًا يخالف ظاهره، وإن له تأويلاً يُخالِف ما يُفْهَم منه ففي قلبه منه حرج، ومن قال: إن له تأويلاً لا نفهمه ولا نعلمه وإنما نتلوه متعبدين بألفاظه ففي قلبه منه حرج.

وأنت إذا تأملت قوله: {لا يَمَسُّهُ إِلاّ الْمُطَهَّرُونَ}، وأعطيت الآية حقها من دلالة اللفظ وإيمائه وإشارته وتنبيهه وقياس الشيء على نظيره واعتباره بمُشاكِله وتأملت المشابهة التي عقدها الله سبحانه وربطها بين الظاهر والباطن فهمت هذه المعاني كلها من الآية وبالله التوفيق[1]".

- وقال في موضع آخر: "وأنت إذا تأمَّلْت قَوله تَعَالَى: {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ*لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ} [الواقعة: ٧٧- ٧٩] ، وجدت الآية من أظهر الأدلة على نبوة النبي ﷺ ، وأنَّ هذا الْقرآن جاء من عند الله، وأنَّ الَذي جاء به رُوح مُطهَّر، فَما للأَرواح الْخبيثَة علَيه سبيل؛ ووجدت الآية أُخْتَ قَوله: {وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ} [الشعراء: ٢١٠]، {وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ} [الشعراء: ٢١١]، ووجدتها دالة بأحسن الدَّلالَة علَى أنَّه لا يَمس الْمصحف إلا طاهر، ووجدتها دالة أيضًا بألْطف الدَّلالَة علَى أنَّه لا يجد حلاوته وطعمه إلا من آمن به وعمل به، كما فَهمه الْبخاري من الآية فقال في صحيحه في باب: {قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا} [آل عمران: ٩٣] {لاَ يَمَسُّهُ}لا يَجد طعمه ونفعه إلا من آمن بالْقرآن، ولا يحمله بحقه إلا الْمؤمن؛ لقَوله تَعَالَى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} [الجمعة: ٥]، وتجد تحته أيضًا أنَّه لا ينال معانيَه ويفهمُهُ كما ينبغي إلا الْقلوب الطاهرة، وأنَّ الْقلوب النجسة

(١) التبيان في أقسام القرآن (١/٢٣٠- ٢٣١)

ممنوعة من فهمه مصروفة عنه، فتأمَّل هذا النسب الْقريب وعَقْد هذه الأُخُوَّة بين هذه الْمعاني وبين الْمعنى الظاهر من الآية واستنباط هذه الْمعاني كلها من الآية بِأحسنِ وجه وأبينِهِ.، فهذا من الْفهم الذي أشار إِلَيهِ علي ﷺ [1]".

وقال: "فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قَدس الله رَوْحَه يقول: لَكن تَدل الآية بإشارتها على أَنَّه لا يَمس الْمصحف إلا طاهر؛ لأَنَّه إذا كانت تلْك الصحف لا يَمسها إلا الْمُطهَّرون، لِكرامتها علَى الله، فَهذه الصحف أولَى أَن لا يَمسها إلا طاهر[2]".

وقال أيضًا: "فحقيقة هذا أنه لا يمس محله إلا المطهر، وإشارته أنه لايجد حلاوته ويذوق طعمه ويباشر حقائق قلبه إلا القلب المطهر من الأنجاس والأدناس، وإلى هذا المعنى أشار البخاري في صحيحه، فهذه من أصح الإشارات[3]".

- قال تعالى:" إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ "[الكوثر: ٣].

المعنى الظاهر:

"إن مبغضك ومبغض ما جئت به من الهدى والنور، هو المنقطع أثره، المقطوع من كل خير[4]".

ما يؤخذ من إشارة الآية:

قال شيخ الإسلام: "فمن شنأ شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ فله من ذلك

---

(١)اعلام الموقعين (١/١٧٢، ١٧٣)

(٢) مدارج السالكين (٢/٣٩١)

(٣) الكلام على مسألة السماع (ص ٣٩٦)

(٤) التفسير الميسر (ص٦٠٢)

نصيب؛ ولهذا قال أبو بكر بن عياش: أهل السنة يبقون ويبقى ذِكْرُهم، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم. وذلك أن أهل البدعة شنؤوا بعض ما جاء به الرسول ﷺ فأبترهم بقدر ذلك، والذين أعلنوا ما جاء به النبي ﷺ فصار لهم نصيب من قوله تعالى: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} [الشرح: ٤]، فإن ما أكرم الله به نبيه من سعادة الدنيا والآخرة فللمؤمنين المتابعين نصيب بقدر إيمانهم، فما كان من خصائص النبوة والرسالة فلم يشارك فيه أحد من أمته، وما كان من ثواب الإيمان والأعمال الصالحة فلكل مؤمن نصيب بقدر ذلك[1]" ا.هـ.

- وقال: "أهل السنة يموتون ويحيا ذِكْرُهم، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم؛ لأن أهل السنة أحيوا ما جاء به الرسول ﷺ؛ فكان لهم نصيب من قوله: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} [الشرح: ٤]، وأهل البدعة شنؤوا ما جاء به الرسول ﷺ؛ فكان لهم نصيب من قوله: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} [المسد: ٣][2]".

٧- التطبيق والعمل والامتثال.

التطبيق:

- من مفاتيح الرزق (تدبر عملي): قال تعالى: "وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ"[طه: ١٣٢]. قال ابن جُزَي: "كان بعض السلف إذا أصاب أهله خصاصة، قال: قوموا فصَلُّوا؛ بهذا أمركم الله، ويتلو هذه الآية[3]". قَالَ عبد الله بن إبراهيم الإسكافي: "حضرت مجلس المُهتدي وقد جلس للمظالم، فاستعداه رجل على ابن له، فأمر بإحضاره، فأُحضر

(١) مجموع الفتاوى (٣٨/٢٨)

(٢) مجموع الفتاوى (٥٢٨/١٦)

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (١٧/٢)

وأقامه إلى جنب الرجل، فسأله عما ادعاه عليه، فأقر به، فأمره بالخروج له من حقه، فكتب له بذلك كتابا، فلما فرغ، قَالَ له الرجل: والله يا أمير المؤمنين ما أنت إلا كما قَالَ الشاعر:

حَكَّمْتُموه فقضى بينكم ... أبلجُ مِثْلُ القمرِ الزاهرِ

لا يقبلُ الرشوة في حُكمه ... ولا يبالي غَبَنَ الخاسر[1]

فقال له المهتدى: أما أنت أيها الرجل فأحسن الله مقالتك، وأما أنا فما جلست هذا المجلس حتى قرأت المصحف:"وَنَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَكَفى بِنا حاسِبِينَ" [الأنبياء:٤٧] فقال لي عمي: فما رأيت باكيا أكثر من ذلك اليوم[2]"

- قال ابن مفلح : "قَارِن بين تَأَدّب السلف بهدي القرآن وبين فعل بعض الناس مع علمائهم: قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام: ما استأذنت قط على مُحدِّث! كنت أنتظر حتى يخرج إليّ، وتأولت قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ} [الحجرات: ٥][3]".

- قال أحدهم: كان لي موعد بعد صلاة العشاء مع معصية، وفي صلاة العشاء قرأ الإمام قولَه تعالى: "وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ"[إبراهيم: ٣٤]، فتذكرت ما أنا فيه من الخير والنعيم .. واستحييت، فأحمد الله على التوبة[4].

---

(١) البيت للأعشى، وهو في ديوانه (ص٩٢)

(٢) تاريخ بغداد (٤/٥٥٣)

(٣) الآداب الشرعية (٢/٧)

(٤) ليدبروا آياته (٤/٢٠٣)

- قال أحدهم: أنا طالب علم، وذات مرة توقّفْتُ عند قوله تعالى: "أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ"[الزمر: ٩]، فبكيت كثيرًا على ضياع ليال كثيرة في هذه الليالي الشاتية الطويلة، وأنا لم أشرّف نفسي بالانتصاب قائمًا لربي ولو لدقائق، فكان هذا البكاء مفتاحًا لبداية أرجو أن لا تتوقف حتى ألقى ربي[١]. قال يونس المكي: "زرع رجل من أهل الطائف زرعًا، فلما بلغ أَصَابَتْه آفة فاحترق، فدخلنا عليه نُواسيه عنه فبكى، وقال: والله ما عليه أبكي، ولكني سمعت الله تبارك وتعالى يقول: "مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ" [آل عمران:١١٧]،فأخاف أن أكون من أهل هذه الصفة،فذلك الذي أبكاني[٢]".

- كان أويس إذا نظرَ إلى الرؤوسِ المشويةِ يذكرُ هذه الآية: تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ} [الْمُؤْمِنُونَ:١٠٢]،فيقعُ مغشيًا عليه حتى يظنَّ الناظرون إليه أنه مجنونٌ[٣]. وكانَ لطاوس طريقانِ إذا رجعَ من المسجدِ أحدُهُما فيها روَّاس، وكان يرجعُ إذا صلَّى المغربَ، فإذا أخذَ الطريقَ الذي فيه الروَّاس لم يستطعْ أن يتعشى، فقيلَ لهُ: فقالَ: إذا رأيتُ الرؤوسَ كالحةً لم أستطعْ آكلُ[٤].

وقال الأصمعيُّ: حدثنا الصقرُ بنُ حبيب قالَ: مرَّ ابنُ سيرين بروَّاسٍ قد أخرجَ رأسًا فغشي عليهِ[٥].

---

(١) ليدبروا آياته (٤/٢١٦)

(٢) الرضا عن الله بقضائه لابن أبي الدنيا (ص ٥٠)

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٤/ ٢٥)، التخويف من النار لابن رجب (ص١٧٢)،

(٤) التخويف من النار لابن رجب (ص ١٧١- ١٧٢)

(٥)المرجع السابق (ص١٧٢)

- عن عبد الله بن عمر أنه شرب ماء بارداً فبكى واشتد بكاؤه، فقيل: ما يبكيك؟ فقال: ذكرت آية في كتاب الله وهي قوله: {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} [سبأ: ٥٤]. فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئاً، شهوتهم الماء البارد، وقد قال الله تعالى:{أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ} [الأعراف: ٥٠][1]. وأُتي الحسن بكُوز من الماء، ليفطر عليه، فلما أدناه إلى فيه بكى، وقال:ذَكَرتُ أُمنية أهل النار وقولهم:{أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ}[الأعراف: ٥٠]،وذكرت ماأُجيبوا به{إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ}[الأعراف:٥٠][2].

- وعن إبراهيم النخعي قال: قَلّما قرأتُ هَذِهِ الآية إلا ذكرتُ بَرْدَ الشَّرَابِ، وقرأ: {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} [سبأ: ٥٤][3].

- عن عبد الملك بن مروان، أنه شرب ماءً بارداً، فقطعه وبكى، فقيل: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟! قال: ذكرت العطش يوم القيامة، وذكرت أهل النار وما مُنعِوا من ماء بارد الشراب، ثم قرأ: {يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ} [إبراهيم: ١٧][4].

- استقى محمد بن مصعب العابد[5] ماء، فسمع صوت البرادة فصاح، وقال لنفسه: من أين لك في النار برادة؟ ثم قرأ: {وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ} [الكهف: ٢٩][6].

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٣/ ٢١١)، التخويف من النار لابن رجب (ص١٥٨)، وبنحوه في التاريخ الكبير للبخاري (٧/ ٥٢-٥٣)

(٢) التخويف من النار لابن رجب (ص١٥٨)، حلية الأولياء لأبي نعيم (٦/ ١٨٩)

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٢٠٨)

(٤) التخويف من النار لابن رجب (ص ١٥٨)

(٥) هو: محمد بن مصعب أبو جعفر الدَّعَّاء، العابد، وكان أحمد بن حنبل يثني عليه ويقول: كان رجلا صالحاً. توفي ببغداد في ذي القعدة سنة: ٢٢٨هـ. انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٣٢٠)

(٦) التخويف من النار لابن رجب (ص ١٥٩)

- أُتي عبد الرحمن بن عوف بعشائه وهو صائم، فقرأ: {إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا } [المزمل: ١٢ - ١٣]. فلم يزل يبكي، حتى رُفِع طعامه، وما تعشى، وإنه لصائم[١].

- أمسى الحسن صائماً فأُتي بعشائه، فعرضت له هذه الآية: {إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا }فقلصت يده، وقال: ارفعوه، فأصبح صائماً، فلما أمسى، أُتي بإفطاره، فَعَرَضَتْ له الآية، فقيل له: يا أبا سعيد، تهلك وتضعف! ! فأصبح اليوم الثالث صائماً، فذهب ابنه إلى يحيى البَكَّاء وثابت البُنَاني ويزيد الضَّبِّي، فقال: أَدْرِكُوا أبي، فإنه هالك، فلم يزالوا به، حتى سقوه شربة ماء من سويق[٢].

- عن صالح المُرِّي[٣] قال: كان عطاء السَّلِيْمِي[٤]، قد أضر بنفسه حتى ضعف، فقلت له: إنك قد أضررت بنفسك، وأنا متكلف لك بشيء، فلا ترد كرامتي، قال: أَفْعَل، قال: فاشتريت سويقاً، من أجود ما وجدت، وسمناً، قال: فجعلت له شُرَيبة، فَلَتَتُّهَا وحَلَّيْتُها، وأرسلت بها مع ابني وكُوزاً من ماء، فقلت له: لا تبرح حتى يشربها، فرجع، فقال: قد شربها، فلما كان من الغد، جعلت له نحوها، ثم سَرَّحْتُ بها مع ابني، فرجع بها لم يشربها، قال: فأتيته فَلُمْتُه، وقلت: سبحان الله! أَرَدَدْتَ علي كرامتي؟! إن هذا مما يُعينك ويقويك على الصلاة، وعلى ذكر الله تعالى، فلما رآني قد وجدت من ذلك، قال: يا أبا بشر، لا يسؤك، والله

---

(١) المرجع السابق (ص ١٥٥)

(٢)رواه أحمد في الزهد، وانظر: التخويف من النار لابن رجب (ص١٥٦)

(٣) هو: صالح بن بشير بن وادع بن أبي الأقعس أبو بشر البصري، القاص الواعظ الزاهد، المعروف بالمُرِّي. ضعيف الحديث، توفي سنة: ١٧٢هـ وقيل: ١٧٦هـ. انظر: صفة الصفوة (٢/ ٢٠٧)

(٤) هو: عطاء السَّليمي البصري، العابد الزاهد، من صغار التابعين. توفي سنة: ١٤٠هـ. انظر: صفة الصفوة (٢/ ١٩٢)

لقد شربتها أول ما بعثت بها، فلما كان الغد راودتُ نفسي على أن أسيغها، فما قدرت على ذلك، إذا أردت شربه ذكرت هذه الآية:{ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ} [إبراهيم: ١٧] .فبكى صالح عند هذا، وقال قلت لنفسي: ألا أراني في واد وأنت في آخر[١].[٢]

-وآخر بكى في وليمة رأى فيها الخدم يطوفون على الحضور بالطعام والشراب وتذكر قوله تعالى:{وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ}[الإنسان: ١٩].

٨- النظر في صفحة الكون والآيات المشهودة:

التطبيق:

مراحل تكوين الجنين في بطن أمه - (فيديو)

http://www.youtube.com/watch?v=EJKcwR2kWeE

إعصار فيه نار

http://www.youtube.com/watch?v=_7JD93jxe-Y

فَقْسُ بيضه

http://youtu.be/pm7qUFkFqso

تعاقب الليل والنهار

http://youtu.be/xIz_XB-7DdY

دورة الحياة

http://youtu.be/K3T9Z29OhWs

(١) رواه أبونعيم في الحلية٦/٢١٨، التخويف من النار لابن رجب (ص ١٥٦ - ١٥٧)

(٢) للاستزادة من هذه الأمثلة راجع:التخويف من النار لابن رجب (ص١٥٥-١٥٩)

*تنبيهان:

١. ما ذُكر إنما هو للتقريب وليس للحصر، وباب التدبر واسع كما لا يخفى.

٢. ليس المقصود مما ذكرنا سابقًا دراسة هذه الدلالات ونحوها دراسة أصولية أو لغوية، وإنما التطبيق العلمي المتفرع عنها من غير مراعاة لترتيب.

الخاتمة

تبين من خلال هذا الكتاب:

١- التعرف على قدر صالح من أنواع الدلالة، وقواعد التفسير، والقواعد القرآنية، وغير ذلك من الأسس والأصول التي يُتوصل بها إلى استخراج المعاني والهدايات من القرآن الكريم.

٢- عرض نماذج متميزة من الوقفات التدبرية.

٣-الربط بين النماذج التطبيقية وطُرق الدلالة المتنوعة.

٤-ظهر من خلال ما ذكرنا في هذا الكتاب ما يتطلب آلة لاستخراج المعاني التدبرية، وما لا يتوقف على شيء من ذلك، وبهذا نتبين التفصيل في هذه الجزئية، بأن من التدبر ما يكون الوصول إليه بسلوك الطرق المعروفة في الاستدلال، ومعرفة الأصول التي تُستخرج بها المعاني والهدايات، ومنه ما ليس كذلك.

فهرس المراجع

- الإتقان في علوم القرآن: عبدالرحمن بن أبي بكر، السيوطي. تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم. ط:الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .
- اجتماع الجيوش الإسلامية: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. تحقيق: عواد عبد الله المعتق. ط: مطابع الفرزدق التجارية – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- الإحاطة في أخبار غرناطة: محمد بن عبد الله الغرناطي الأندلسي. ط: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ.
- الإحكام في أصول الأحكام: أبو الحسن علي بن أبي علي الآمدي. تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، ط: المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– لبنان.
- إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي. ط: دار المعرفة – بيروت.
- أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار: أبو الوليد محمد بن عبد الله الغساني المكي المعروف بالأزرقي. تحقيق: رشدي الصالح ملحس. ط: دار الأندلس للنشر – بيروت.
- الأخلاق والسير في مداواة النفوس: أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي القرطبي. ط: دار الآفاق الجديدة – بيروت ، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- الآداب الشرعية: عبد الله محمد بن مفلح المقدسي. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعمر القيام. ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

- أدب الدنيا والدين: أبو الحسن علي بن محمد البغدادي، الشهير بالماوردي. ط: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى. ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي الشوكاني اليمني. تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، ط: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: محمد ناصر الدين الألباني. إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ /١٩٨٥م.
- أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري، الشافعي. تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط: دار الإصلاح – الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م.
- أسرار البيان في التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرائي. (لا يوجد معلومات عن الطبعة).
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي. إشراف: بكر أبو زيد. ط: دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية. تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم. ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

- الأعلام: خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي. ط: دار العلم للملايين، الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م.
- إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية. تحقيق: محمد عفيفي. ط: المكتب الإسلامي - بيروت، ومكتبة فرقد الخاني - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. تحقيق: محمد حامد الفقي. ط: مكتبة المعارف - الرياض.
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية. تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل. ط: دار عالم الكتب - بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات في أصول الفقه: شمس الدين محمد بن عثمان بن علي المارديني الشافعي. تحقيق: عبد الكريم بن علي النملة، ط: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- البحر المحيط في أصول الفقه: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي. ط: دار الكتبي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي. تحقيق: صدقي محمد جميل، ط: دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠ هـ.
- بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. ط: دار الكتاب العربي- بيروت.

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي بن محمد الشوكاني. ط: دار المعرفة – بيروت.
- البرهان فى تناسب سور القرآن: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي. تحقيق: محمد شعباني. ط: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م
- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط: دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.
- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم: أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري. تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو. ط: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل البخاري. ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن.
- تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي. تحقيق: بشار عواد معروف. ط: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢ م.
- تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر. تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي. ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م.
- التبيان في أقسام القرآن: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. تحقيق: محمد حامد الفقي. ط: دار المعرفة – بيروت.

- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور. ط: الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.
- تحفة المودود بأحكام المولود: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط. ط: مكتبة دار البيان – دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي. تحقيق: بشير محمد عيون. ط: مكتبة المؤيد – الطائف، دار البيان – دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨م.
- تَذكِرَة السَّامع والمتَكلِّم في أدب العالِم والمُتعلِّم: محمد بن إبراهيم ابن جماعة الكناني.
- التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي. تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي. ط: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ .
- التعبير القرآني: د. فاضل بن صالح السامرائي. ط: دار عمار، الطبعة الرابعة، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن. ط: دار الفكر – بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- تفسير الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني. تحقيق: مجموعة باحثين. ط: كلية الآداب – جامعة طنطا، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

- تفسير الشعراوي — الخواطر: محمد متولي الشعراوي. ط: مطابع أخبار اليوم .
- تفسير القرآن الكريم (الكهف): محمد بن صالح بن محمد العثيمين . ط: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ .
- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي . تحقيق: سامي بن محمد سلامة . ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- تفسير القرآن الكريم (البقرة): محمد بن صالح بن محمد العثيمين . ط: دار ابن الجوزي - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني. تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم. ط: دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .
- التفسير الميسر: نخبة من أساتذة التفسير، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف — السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩ م.
- تفسير سورة النور: محمد الأمين الجكني الشنقيطي. ط: دار المجتمع — جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- التفسير والمفسرون: محمد السيد حسين الذهبي. ط: مكتبة وهبة، القاهرة.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي. تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري. ط: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧هـ .

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي. تحقيق: د. بشار عواد معروف. ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق . ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .
- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن: عبد الرحمن بن ناصر السعدي. ط: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- جامع الأحاديث (ويشتمل على جمع الجوامع للسيوطي، والجامع الأزهر، وكنوز الحقائق للمناوي، والفتح الكبير للنبهاني): عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. تحقيق: فريق من الباحثين. الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢ م.
- جامع البيان في تأويل القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- جامع الرسائل لابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية. تحقيق: محمد رشاد سالم، ط: دار العطاء – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي. تحقيق: شعيب الأرناؤوط،

وإبراهيم باجس. ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

- جامع المسائل لابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية. تحقيق: محمد عزير شمس، ط: عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي. تحقيق: هشام سمير البخاري. ط: دار عالم الكتب – الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م .
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو (الداء والدواء): محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. ط: دار المعرفة – المغرب، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد الثعالبي. تحقيق: الشيخ محمد علي معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود. ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. ط: مطبعة المدني – القاهرة .
- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، الْمُسَمَّاة: (عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي): شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي. ط: دار صادر – بيروت.
- حراسَةُ الفَضيلة: بكر بن عبد الله أبو زيد . ط: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الحادية عشر، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م .
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. ط: السعادة، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

- الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. ط: دار الفكر – بيروت.
- درة التنزيل وغرة التأويل: محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي. تحقيق: د. محمد مصطفى آيدين. ط: جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني. تحقيق: محمد عبد المعيد ضان. ط: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد- الهند، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- ديوان الأعشى الكبير: شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين. ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ذيل طبقات الحنابلة: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي. تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. ط: مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م .
- الرسالة التبوكية (زاد المهاجر إلى ربه): محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. تحقيق: د. محمد جميل غازي. ط: مكتبة المدني – جدة.
- الرضا عن الله بقضائه: أبو بكر عبد الله بن محمد البغدادي المعروف بابن أبي الدنيا. تحقيق: ضياء الحسن السلفي، ط: الدار السلفية – بومباي، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

- الرقة والبكاء: أبو بكر عبد الله بن محمد البغدادي المعروف بابن أبي الدنيا. تحقيق: محمد خير رمضان يوسف. ط: دار ابن حزم – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .
- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه: موفق الدين عبد الله بن أحمد، الشهير بابن قدامة المقدسي. ط: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ .
- زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية – الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .
- الزهد: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل. تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩ م.
- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: المكتبة العصرية – بيروت.
- السنن الصغرى: أحمد بن شعيب النسائي. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ /١٩٨٦م.

- السنن الكبرى: أحمد بن شعيب النسائي. تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م.
- سير أعلام النبلاء: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق: مجموعة من المحققين. ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال: عز الدين بن عبد السلام. تحقيق: أحمد فريد. ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: علي بن محمد بن عيسى الأُشْمُوني الشافعي. ط: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- شرح الكوكب المنير: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد المعروف بابن النجار الحنبلي. تحقيق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد، ط: مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- شرح الورقات في أصول الفقه: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي. تحقيق: الدكتور حسام الدين بن موسى عفانة، ط: جامعة القدس، فلسطين، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.
- شرح رياض الصالحين: محمد بن صالح بن محمد العثيمين. ط: دار الوطن للنشر – الرياض، ١٤٢٦هـ .
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. ط: دار المعرفة – بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

- الصارم المسلول على شاتم الرسول: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. ط: الحرس الوطني السعودي - السعودية.
- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: دار طوق النجاة (ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري.تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي — بيروت.
- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله. ط: دار العاصمة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي. ط: منشورات دار مكتبة الحياة — بيروت.
- طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي. المحقق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو. ط: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. ط: دار السلفية - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ .
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. ط: دار ابن كثير — دمشق/بيروت، ومكتبة دار التراث - المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

- العدة في أصول الفقه: القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين ابن الفراء. تحقيق: د أحمد بن علي بن سير المباركي، الطبعة الثانية، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.
- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير: محمد الأمين الجكني الشنقيطي. تحقيق: خالد بن عثمان السبت. ط: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤٢٦ هـ.
- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي. تحقيق: محمد حامد الفقي. ط: دار الكاتب العربي - بيروت.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان: الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري. تحقيق: زكريا عميرات. ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- فتاوى السبكي: تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي. ط: دار المعارف.
- الفتاوى الكبرى لابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية. ط: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
- فتحُ البيان في مقاصد القرآن: صديق بن حسن القنوجي. ط: المكتبة العصرية — بيروت.
- فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني. ط: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
- الفوائد: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. ط. دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

- قواعد التفسير: خالد بن عثمان السبت. ط: دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- القواعد الحسان لتفسير القرآن: عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي. ط: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩ م.
- كتاب التعريفات: علي بن محمد الجرجاني. تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد. تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط:مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري. ط: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- كشف المعاني في المتشابه من المثاني: محمد بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي. تحقيق: عبد الجواد خلف. ط: دار الوفاء - المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- الكلام على مسألة السماع: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. تحقيق: راشد بن عبد العزيز الحمد. ط: دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الكفوي. تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري. ط: مؤسسة الرسالة - بيروت.

- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة: نجم الدين محمد بن محمد الغزي. تحقيق: خليل المنصور. ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.
- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي. ط: دار ابن حزم للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: فاضل بن صالح السامرائي. ط: : دار عمار للنشر والتوزيع – عمان/الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م .
- ليدبروا آياته (حصاد عام من التدبر): بإشراف مركز تدبر للدراسات والاستشارات. ط: دار الحضارة للنشر والتوزيع – السعودية.
- المجالسة وجواهر العلم: أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي. تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط: جمعية التربية الإسلامية، البحرين –أم الحصم، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ.
- مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية. جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي. تحقيق: طلعت بن فؤاد الحُلوَاني. ط: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.
- مجموعة الرسائل والمسائل: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني. ط: لجنة التراث العربي.

- محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد القاسمي. تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- المحلى: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري. تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي. ط: دار الآفاق الجديدة – بيروت.
- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: محمد بن محمد البعلي، ابن الموصلي. تحقيق: سيد إبراهيم. ط: دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية: محمد بن علي بن أحمد ، بدر الدين البعليّ. تحقيق: عبد المجيد سليم، محمد حامد الفقي. ط: مطبعة السنة المحمدية.
- مختصر منهاج القاصدين: ابن قدامة المقدسي. علق عليه: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط. ط: مكتبة دار البيان – دمشق، ومؤسسة علوم القرآن – بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي. ط: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .
- مذكرة في أصول الفقه: محمد الأمين الجكني الشنقيطي. ط: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة، ٢٠٠١ م.

- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. تحقيق: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر. ط: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع –الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد.ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م.
- معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة: محمَّد بن حسين الجيزاني. ط: دار ابن الجوزي، الطبعة الخامسة، ١٤٢٧ هـ.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي. تحقيق:محمد عبدالله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش. ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج. تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي. ط: عالم الكتب–بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران): عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
- معجم الشيوخ الكبير للذهبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق: الدكتور محمد الحبيب الهيلة. ط: مكتبة الصديق – الطائف، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
- مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي. ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. ط: دار الكتب العلمية — بيروت .
- مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر: مساعد بن سليمان الطَّيَّار. ط: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٧ هـ.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي. تحقيق: محمد عثمان الخشت. ط: دار الكتاب العربي — بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م.
- المقاييس في اللغة: أحمد بن فارس. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط: دار الفكر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي. ط: دار الكتب العلمية – بيروت.
- من أسرار التنزيل: أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي. تحقيق: عبد القادر أحمد عطا. ط: دار المسلم – جمهورية مصر العربية.
- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني. ط: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني. تحقيق: محمد رشاد سالم. ط: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعةالأولى،١٤٠٦هـ /١٩٨٦م.

- الموافقات: إبراهيم بن موسى اللخمي الشهير بالشاطبي. تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، ط: دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- المواهب الربانية من الآيات القرآنية: عبد الرحمن بن ناصر السعدي. تحقيق: سمير الماضي. ط: رمادي للنشر، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- النحو الوافي: عباس حسن. ط: دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة.
- نشر البنود شرح مراقي السعود: سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي. تحقيق: محمد الأمين بن محمد بيب. الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- النشر في القراءات العشر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف. تحقيق: علي محمد الضباع. ط: المطبعة التجارية الكبرى.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي. ط: دار الكتاب الإسلامي - القاهرة.
- نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام: محمد بن علي الكرجي القصاب. تحقيق: علي بن غازي التويجري. ط: دار ابن القيم ودار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد البغدادي، الشهير بالماوردي. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. ط: دار الكتب العلمية - بيروت.

- نور وهداية: علي بن مصطفى الطنطاوي. جمع وترتيب: مجاهد مأمون ديرانية. ط: دار المنارة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- الوابل الصيب من الكلم الطيب:محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. تحقيق: سيد إبراهيم. ط: دار الحديث – القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩ م.
- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي. تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى. ط: دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس أحمد بن محمد ابن خلكان. تحقيق: إحسان عباس. ط: دار صادر – بيروت.